هذا هو النبي ﷺ

الكتـــــــاب :هذا هو النبي ﷺ/ إبراهيم فتحى عبد السلام
المؤلـــــــف: عبد السلام، إبراهيم فتحى
النـــــــوع: إسلامي
تصميم الغلاف : جيهان متولي
إخراج داخلـــي: بثينة عزام
الطبعــــــة: الأولى ٢٠١٠ القاهرة
عدد الصفحات: ١٧٣ ص
المقـــــاس : ١٧×٢٤ سم
تدمــــــــك:
١- أخلاق الرسول ﷺ
أ- العنوان

الناشــــــر: دار صرح للنشر والتوزيع

التليفــــــون :٢٥٢٤٠١٦٦(٠٢)
العنــــــوان : كورنيش المعادي بجوار مستشفى السلام الدولي
أبراج المهندسين(أ) برج(٢) الدور العاشر شقة(٢)

البريد الإلكتروني: darsarh@gmail.com
الموقع على الإنترنت: www.dar-sarh.com

المدير العام:عبود مصطفى عبود

رقــــم الإيداع: ٢٠١٠/٤١٠٢
الترقيم الدولي: 978-977-6382-01-5

ديوي ٢٣٩,٦



هَـذَا هُـوَ النَّبِـيُّ ﷺ

(فضائل النبي ﷺ من أحاديث الصحيحين)

تأليف

إبراهيم فتحي



فكر يصنع حضارة

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]



مقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالَمين، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ الأميِّ الأمين، سيدنا محمـدٍ، وعلى آلِه وصَحْبِه الطيِّبين الأكرَمين، وبعدُ:

فما سارَ على الأرضِ بَشَرٌ نالَ ما نالَه النبيُّ ﷺ من الفَضل والشَّرف وعُلوِّ الـذِّكْر وخُلودِ الأثَر، فقد حازَ ﷺ المكارمَ من أطرافِها، واجتَمعَ فيه من عظيمِ الخُلُق وجَميل الصفاتِ ما لم يَجتمِعْ لسِواه، فصارَ مَثلًا للفَضيلةِ الإنسانيةِ في أسمَى صُوَرِها.

كانَ النبيُّ العربيُّ الذي يأتِيه خَبَرُ السَّماء، أحسنَ الناسِ سَمْتًا، وأطهَـرَهم نَفْسًا، وأفصَحَهم لِسانًا، وأصدَقَهم حَدِيثًا، وأوْفَاهم ذِمَّة، وأشجَعَهم قلبًا، وأكـرَمَهم يـدًا، وأكثَرَهم تواضُعًا، وأبَرَّهم وأوصَلَهم وأتْقَاهم؛ يُرَى صدقُ نُبوَّته في نُور وجهِـه قبـل أن يَنطِقَ به لسانُه، ويَأسِرُ بكَرِيمِ خُلُقِه القلوبَ والألبَاب:

يا مَن لـه الأخـلاقُ مـا تَهوَى العُـلَا   مِنهـا ومـا يَتعَـشَّقُ الكُـبَراءُ

زَانَتْـكَ في الخُلُـقِ العَظِـيمِ شَـمائِلٌ   يُغْـرَى بِهِـنَّ ويُولَـعُ الكُرَمـاءُ

وقد أردتُ في هذا الكتابِ أن أستَضِيء بقَـبَس مـن نُـورِه ﷺ، وأن أصـوِّرَ مـن شمائلِه الكَرِيمة وأخلاقِه العَظِيمة ما شَهِد به ضميرُ كلِّ مُنصِف؛ وذلـك مـن خـلالِ الأحاديثِ النبويَّة، وآثارِ الصحابةِ الذين عايَشُوه وخالَطُوه، فكان أحَـبَّ إلـيهم مـن أنفُسِهم وأهْلِيهم.

وكان مَنهجي في تأليفِ الكِتاب أن:

١ - اقتصرتُ على أحاديث صحيحَيِ الإمامَين البخـاريِّ ومـسلمٍ، وهمـا أصـحُّ الكتب بعد كتاب الله تعالى.

٢ - تخفَّفتُ من ذِكر الإسناد كاملًا لعدم الإطالة، مع الإبقاء على الراوِي الأعلَى فقط، والمحافظةِ على الصيغة الأخيرة للسَّنَد، ما أمكَن.

٣- ضبطتُ الحديث سندًا ومتنًا بالشَّكل التامِّ، كما ضبطتُ الكثيرَ من ألفاظِ الكتاب.

٤ - استندتُ في ضبط الحديثِ وبيانِ معاني ألفاظِه وعباراتِه إلى أقوال أهل العِلم من شُرَّاح الحديث وأصحاب الغَريب واللغة والسِّيَر وغيرِهم؛ وقد اجتهدتُ في إضافة ما اقتضاه المَقامُ، أو إعادةِ صياغة بعض الألفاظِ والعبارات، أو الربطِ بينها بما يَخدُم الفِكرة.

٥- خرَّجتُ كلَّ حديث تخريجًا مختصَرًا بجِواره، اكتفيتُ فيه بذكر المصدر- أحدِ الصحيحين- ورَقْم الحديث.

٦- ميَّزتُ القول النبويَّ بالخطِّ العريض.

٧- وضعتُ علاماتِ الترقيم داخلَ الأحاديث؛ ليتيسَّر الفهمُ ومتابعةُ السياق.

٨- رقَّمتُ الأحاديث ترقيمًا مسلسَلًا للكتاب كلِّه.

٩- أثبتُّ في نهاية الكتاب أهمَّ المراجع التي أخذتُ عنها، ولم أعزُ في حواشي الكتاب؛ كي لا يكثُرَ تنقُّلُ نظرِ القارئ بين صُلب الكتاب وحاشيتِه.

واللهَ أسألُ أن ينفعَنا بهذا الكتاب، وأن يجعلَه هاديًا لنا إلى حبِّ النبي ﷺ واتِّباعِه، وما كان فيه من توفيقٍ فمن الله، وما كان فيه من تقصيرٍ فمن نفسي، ولله وحدَه الكمالُ ولرسولِه العصمةُ، والحمدُ لله في الآخرة والأُولى.

(١) صفة النبي ﷺ في الكتب السابقة

(١) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ. قَالَ: «أَجَلْ وَاللهِ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا». [البخاري: ٢١٢٥].

❁ وصَف الله نبيَّه ﷺ في الكتابين التوراةِ والإنجيل ونعَته فيهما وسمَّاه، فقال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف: ٦].

سمَّاه الله تعالَى «أحمدَ» اشتقاقًا من اسمِه، أو مبالغةً في الحمد، أي: هو أكثر الخلق حمدًا لله، أو أحقُّ الخلق وأَولاهم بأن يُحمَد[١]. واسمه عند أهل الإنجيل: الفارِقْلِيط أو البارِقْلِيط، أي: رُوح الحق الذي لا يتكلم من قِبَل نفسه، أو رُوح القُدُس، وقيل: الذي يفرِّق بين الحق والباطل، وقيل: الحامد أو الحمَّاد، وقيل: أكثرُ أهل الإنجيل على أن معناه: المخَلِّص.

وفي هذا الحديث: مدحُ النبي ﷺ ببعض صفاته الشريفة التي خصَّه الله تعالى بها وجَبَله عليها.

قولُه: «**والله إنه لموصوف**»: أكَّد كلامَه بالمؤكِّدات، وهي: الحَلِف بالله، ودخول «إنَّ» على الجملة الإسمية، ودخول لام التأكيد على الخبر.

﴿ **شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾: شاهدًا لأمتك المؤمنين بتصديقهم، وعلى الكافرين بتكذيبهم، أي: مقبولًا قولُك عند الله لهم وعليهم كما يُقبَل قولُ الشاهد العَدْل في الحُكم. أو شاهدًا لجميع الأنبياء في تبليغهم. ومبشرًا المطيعين بالجنة، ومنذرًا العصاةَ النارَ.

«**وحِرزًا**»: حافظًا، وأصل الحِرز: الموضع الحَصِين.

---

(١) وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ**». [مسلم: ٢٣٥٤].

«**للأميِّين**»: للعَرب. وإنما سمُّوا أمِّيين لأن أغلبهم لا يقرءون ولا يكتبون، أو لأنهم يُنسَبون إلى أمِّ القرى وهي مكة، أو لكون نبيِّهم ﷺ أُميًّا.

والمراد: أرسلناك حِصنًا ومَوئِلًا يتحصنون به من غوائل الشيطان، أو عن سَطوة العَجم وتغلُّبهم. ويجوز أن يكون المرادُ بالحرز: حِفظَ قومِه من عذاب الاستئصال، أو الحفظَ لهم من العذاب ما دام فيهم.

وذِكرُ العرب لا يَنفي ما عَداهم، ولا سيَّما وقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ: ٢٨].

«**أنتَ عبدي ورسولي**»: الأخصُّ الأكمل المصطفى على الخَلق. وأضيفَ إلى الله تعالى إضافةَ تشريف.

«**سميتُك المتوكِّل**»: خصَصتُك بهذا الوصف لكمال توكلك عليَّ، وتفويضك إليَّ وتسليمك لديَّ؛ عملًا بما في القرآن: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾ [النساء: ٨١]، ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وقيل: سُمي بذلك لقناعته باليسيرِ من الرزق، واعتمادِه على الله تعالى في الرزق والنصر، والصبرِ على انتظار الفرَج، والأخذِ بمحاسن الأخلاق، واليقينِ بتمام وعد الله.

«**ليس بفظٍّ ولا غليظ**»: فيه التفات من الخِطاب إلى الغَيبة، ولو جرى على النَّسَق الأول لقال: «لستَ». والمعنى: ليس بسيِّئ الخُلق أو القول أو الفعل، ولا غليظِ القلب أي: شديدِه وقاسِيه، وهو موافِق لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]،ولا يعارِض قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التوبة: ٧٣]؛ لأن نفي الغِلظة محمول على طبعه الذي جُبِل عليه، والأمر بها محمول على المعالجَة،

أو النفي بالنسبة للمؤمنين، والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرَّح به في الآية.

«**ولا سخَّاب في الأسواق**»: السخَّاب لغةٌ في الصخَّاب، وهو الصَّيَّاح. والمعنى: أنه ﷺ ليِّن الجانب، شريف النَّفْس، لا يرفع الصوتَ على الناس لسوء خُلق، ولا يُكثر الصِّيَاح عليهم في السوق، بل يُلين جانبه لهم ويَرفُق بهم. فالسَّخَب مذموم في نفسه ولا سيَّما إذا كان في الأسواق وهي مَجمَع الناس من كل جنس، ولا يَسخَب فيها إلا كلُّ فاجر شرير.

«**ولا يدفع بالسيئة السيئةَ**»: لا يُسيء إلى من أساء إليه على سبيل المجازاة المباحة، ما لم تُنتهَك لله حُرمة، لكن يأخذ بالفضل، ويدفع السيئةَ بالحسنة، قال تعالى: ﴿ **فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال: ﴿ **ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

«**يَعفو**»: في الباطن والسَّريرة.

«**ويَصفح**»: يُعرِض في الظاهر عن صاحب السيئة.

«**يَقبِضه**»: يتوفاه إليه.

«**يُقيم به الملةَ العَوجاء**»: ملة العرب، ووصفها بالعِوَج لِما دخَل فيها من عبادة الأصنام وتغييرهم ملةَ إبراهيم وإمالتها عن استقامتها. والمراد بإقامتها: إخراجُ أهلها من الكفر إلى الإيمان.

«**أعينًا عُميًا**»: عن الحق.

«**وآذانًا صمًّا**»: لا تسمع الحق.

«**وقلوبًا غلفًا**»: لا يصل إليها شيء ينفعها كأنها في غِلاف.

***

(٢) شرف نسب النبي ﷺ

(٢) عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ: «أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي المُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا. فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَالله لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ! ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ». [البخاري: ٧].

❁ «هِرَقْل»: هو ملكُ الرُّوم في زمن النبيِّ ﷺ، وهذا اسمه، ولقبه: قَيْصَر، كما يُلقَّب ملكُ الفُرس: كِسْرَى، وملكُ الحبشة: النَّجَاشِيَّ، ونحو ذلك. وقد بلغَه كتابُ النبيِّ ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام.

«فِي المُدَّة»: مدة صلح الحُدَيبِيَة، وكانت في سَنة ستٍّ، وكانت مدةُ الصلح عَشْرَ سنينَ، ثم نَقَضت قريشٌ العهدَ بقتالهم خُزَاعةَ حلفاءَ رسولِ الله ﷺ.

«إِيلِيَاء»: مدينة بيت المَقدِس. وقيل: معنى «إِيلِيَاء»: بيتُ الله.

«**أنا أقربُهم نسبًا**»: وإنما كان أبو سفيان أقربَ؛ لأنه من بني عبد مَنَافٍ، وهو أبو سفيانَ بنُ حربِ بنِ أُمَيَّةَ بن عبد شَمْس بن عبد مناف، والنبيُّ ﷺ هو: محمدُ بنُ عبد الله بنِ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيٍّ بن كِلَاب[1] بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ بن غالِب بن فِهْر[2] بن مالك بن النَّضْر بن كِنَانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إليـاس بـن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدٍّ بن عَدْنان. وعدنانُ هو جَـدُّ عـرب الحجـاز، وهـو مـن ذريَّـة إسماعيلَ بنِ إبراهيم على نبيِّنا وعليهما الصلاةُ والسلام. وهـذا هـو الـصحيحُ المتفـق عليه من النَّسب الشريف، وما فوق عدنانَ فمختلَف فيه.

«**فاجعلوهم عند ظهرِه**»: لئلَّا يستَحْيُوا أن يواجِهوه بالتكذيب إن كَذَب.

«**يَأْثُروا عليَّ كذبًا**»: يحكُوه عني ويتحدَّثوا به.

وفيه: دليل على أن العرب قبل الإسلام كانوا يستقبحون الكذب، إما بالأخذ عن الشرع السابق، أو بالعرف السائد. وفي قوله: «يَأْثُروا» دون قوله: «يُكَذِّبوا» دليلٌ على أنه كان واثقًا منهم بعدم التكذيب لو كَذَب؛ لاشتراكهم معـه في عـداوة النبـي ﷺ، لكنه ترك ذلك استحياءً وأَنَفَةً من أن يتحدثوا بذلك بعـد أن يَرجِعـوا، فيـصيرَ عنـد سامعي ذلك كذَّابًا.

---

(١) قيل: هو اسم تسمَّت به العرب، كسِبَاع وأَنْـمار. أو هـو منقـول مـن المـصدر الـذي في معنـى المكالَبة، نحو: كالبتُ العدوَّ مكالبةً وكِلابًا، أي: أظهرتُ عداوتَه وجاهرتُه بهـا. أو لإنـه كـان محبًّـا لصيد الكِلاب مولَعًا به وجمعَ منها شيئًا كثيرًا، فكان إذا مرَّ بكلابٍ على قوم قيل: هـذه كِـلابُ ابـنِ مُرة، فبقي لقبًا له، واسمه: حكيم. وفيه يلتقي نسبُ أبوَيِ النبي ﷺ، فأمُّ رسول الله ﷺ هي: آمِنةُ بنتُ وَهْبِ بنِ عبد مَناف بن زُهرةَ بن كِلَاب.

(٢) وهو قريش وإليه تُنسب القبيلة، فما كان فوقه فليس بقُرَشي بل هو كِنـاني. وقيـل: النـضر هـو قريش.

«**كيف نَسبُه فيكم؟**»: ما حالُ نسبِه فيكم؟ أهو مِن أشرافكم أم لا؟

«**هو فينا ذو نَسبٍ**»: ذو نسب رفيع، هو من أشرفِنا وأعلانا نسبًا. وكان لآباء النبيِّ ﷺ السيادةُ والشرف في قومِهم، فهم أهلُ الرِّياسة والرأي والمشورة، وأصحابُ الحِجابة والسِّقاية والرِّفادة[1]، وصدَقَ القائل:

نسبٌ أضاءَ وشمسُه من هاشمٍ ... وسماؤُه من يَعرُبٍ ونِزارِ[2]

من مَعشرٍ ورِثوا السيادةَ كابرًا ... عن كابرٍ فهمُ كِبارُ كِبارِ

أقمارُ أنديةٍ أسودُ وقائعٍ ... أطوادُ أحلامٍ سَحابُ قِطارِ[3]

أهلُ الرِّفادة والحِجابة والحِجَا[4] ... وسِقايةِ الحُجَّاج والزُّوَّارِ

والمجتبَى الهادي خِيارُهمُ وهُمْ ... بينَ الأنامِ خِيارُ كلِّ خِيارِ

***

---

(١) الحجابة: حفظُ الكعبة وخدمتُها والاختصاص بمِفتاحها. السقاية: سقيُ الحجيج من الماء المحلَّى بشيء من التمر والزبيب. الرفادة: إطعامُ الحجيج.

(٢) يعرب: هو يعرب بن قَحْطان جدُّ عرب اليمن، قيل: هو من سلالة إسماعيل، والجمهور على خلافه. نزار: هو نزار بن معد بن عدنان، وولداه مُضَر ورَبِيعة يَنتسب إليهما شعبان كبيران من العرب العدنانية، والنبي ﷺ مُضَري.

(٣) الأندية: جمع «نادٍ»، وهو مجلس القوم ومتحدَّثهم. الوقائع: جمع «وقيعة»، وهي صدمة الحرب والقتال. الأحلام: جمع «حِلم»، وهو العقل. الأطواد: جمع «طَود»، وهو الجبل. القِطار: جمع «قَطْر»، وهو المطر. والمعنى: أنهم صِباح وِضاء يَزِينون المجالس، أما في الملاحم فهم أصحاب البأس والإقدام والشجاعة، وهم من الوقار والرزانة ورجاحة العقل في المنزل الأعلى، وهم أهل جُود وكرم تَفيض أيديهم بالعَطايا.

(١) الحجا: العقل.

(٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ». [مسلم: ٢٣١٥].

● «وُلد لي الليلةَ»: في ذي الحِجة سنة ثمانٍ.

«غلامٌ»: من ماريَة القِبطيَّة رضي الله عنها، جاريةِ النبي ﷺ.

«أبي إبراهيمَ»: قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ﴾ [آل عمران: ٣٣]،

واصطفاء آل إبراهيم عليه السلام بأن جعل فيهم النبوَّة والكتاب. ويدخل في آل إبراهيم جميعُ الأنبياء الذين بُعثوا من بعده؛ لأنهم من ذرِّيته، وقد خصهم بأنواع الفضائل ما كانوا به صفوةً على العالَمين، ومنهم سيدُ ولد آدمَ نبيُّنا محمدٌ ﷺ، فإن اللهَ تعالى جمع فيه من الكمال ما تفرَّق في غيره، وفاقَ ﷺ الأوَّلين والآخِرين، فكان سيدَ المرسلين المصطفى من ولد إبراهيم.

* * *

(٦) عَنْ كُلَيْبِ بْنِ وَائِلٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي رَبِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: قُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ أَكَانَ مِنْ مُضَرَ؟ قَالَتْ: «فَمِمَّنْ كَانَ إِلَّا مِنْ مُضَرَ؟ مِنْ بَنِي النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ». [البخاري: ٣٤٩١].

● «رَبِيبة النبي ﷺ»: هي بنت أمِّ سَلَمة زوجِ النبي ﷺ، والربيبةُ: ابنةُ امرأةِ الرَّجل.

«أرأيتِ»: أخبِريني.

«فممن كان إلا من مُضَر؟»: استفهام إنكار، أي: لم يكن إلا من مُضَر. ومُضَر هو

ابنُ نِزار بنِ مَعَدِّ بنِ عدنان، قيل: إنه كان على دين إسماعيلَ ﷺ، وقيل: على الإسلام على ملة إبراهيمَ ﷺ.

«النضر بن كِنانة»: في عَمُود نَسب النبي ﷺ، وسُمي بالنَّضْر لوَضَاءته وجماله وإشراق وجهه. وقد تقدم قول النبي ﷺ في اصطفاء كنانة من ولد إسماعيل ﷺ[1].

قيل: وآباؤه ﷺ كلُّهم ساداتٌ، ما منهم أحدٌ إلا وهو سيدُ قومِه في عصره، من أبيه عبد الله إلى آدمَ ﷺ، ورحمَ اللهُ تعالى القائلَ:

فأولئكَ الساداتُ لم تَرَ مِثلَهَمْ	عينٌ على متتابع الأحقاب
لم يَعرفوا ردَّ العُفاةِ[2] وطالَمَا	ردُّوا عُداتَهُمُ على الأعقاب
زُهْرُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ	يُعطُون عافِيَهُمْ بغير حساب
حَلُموا إلى ألَّا تكادَ تَراهُمُ	يومًا على ذي هَفْوةٍ بغِضاب
وتَكرَّموا حتى أبَوْا أن يَجعَلوا	بينَ العُفاةِ ومالِهِمْ مِن باب
كانت تعيشُ الطيرُ في أجنابِهِمْ	والوحشُ حينَ يَشِّحُ كلُّ سَحاب
وكفاهُمُ أن النبيَّ محمدًا	مِنهُمْ فمدحُهُمُ بكلِّ كتاب

***

(٧) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «اسْتَأْذَنَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَبِيتَ بِمَكَّةَ لَيَالِيَ مِنًى مِنْ أَجْلِ سِقَايَتِهِ فَأَذِنَ لَهُ». [البخاري: ١٦٣٤].

---

(١) حديث (٣).

(٢) جمع «عافٍ»، وهو طالبُ المعروف.

❁ «العباس»: عمُّ النبي ﷺ.

«ليالِيَ مِنًى»: هي ليلة الحادي عشرَ والثاني عشرَ والثالثَ عشرَ من ذي الحجة، وهي التي تسمى أيامَ التشريق، والمبيت بمنًى ليالِيَ أيامِ التشريق مأمورٌ به إلا لضرورة.

«سِقايته»: التي بالمسجد الحرام المملوءة من ماء زمزم المندوب الشرب منها إذا لم يتيسَّر الشرب من البئر للخَلْق الكثير، وكانت حِياضًا في يد قُصي، ثم منه لابنه عبد مَناف، ثم منه لابنه هاشم، ثم منه لابنه عبد المطَّلِب، ثم منه لابنه العبَّاس. وهذا من شرف آباء النبي ﷺ.

«فأَذِن له»: رخَّص له ﷺ في ترك المبيت بمنًى لأجل سقاية الحاجِّ.

***

(٨) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». [مسلم: ١٨١٩].

❁ «في الخيرِ والشر»: في الإسلام والجاهلية؛ لأنهم كانوا في الجاهلية رؤساءَ العرب، وأصحابَ حَرَم الله، وأهلَ حجِّ بيت الله، وكانت العرب تنظُر إسلامَهم، فلما أسلموا وفُتحت مكةُ تَبِعهم الناسُ، وجاءت وفود العرب من كل جهة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وكذلك في الإسلام هم أصحاب الخلافة والناس تَبَع لهم. وهذا الحديث حُجة في مَزِيَّة قريشٍ على غيرهم.

***

(٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَلَهُ فِيهِ

قَرَابَةٌ». [البخاري: ٣٤٩٧].

❁ تقدم اصطفاءُ قريش وتفضيلُهم على غيرهم. ولمَّا لم يكن بطن من قريش إلا وللنبي ﷺ فيه قرابة اقتضى هذا تفضيلَه على الكل، وهو صفوة الله منهم.

***

(١٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَـمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ...» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَـمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ». [البخاري: ٢٧٥٢].

❁ كانت قريش تصلُ الأرحام في الجاهلية وهذا من مكارمها، فلما دعاهم النبي ﷺ إلى الله خالفوه وقاطعوه، فأمرهم بصلة الرحم التي بينه وبينهم، قال تعالى:

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣].

وفيه: قرابةُ النبي ﷺ لبطون قريشٍ كما تقدم.

***



(٣) حب النبي ﷺ لدار مولده ودار هجرته

(١١) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْـمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ». [البخاري: ٦٣٧٢].

● فائدة: ذهب الجمهور إلى تفضيل مكة المكرَّمة على المدينة المنوَّرة، وتفضيل المسجد الحرام على المسجد النَّبوي. وذهب الإمام مالك إلى تفضيل المدينة على مكة، وتفضيل المسجد النبوي على المسجد الحرام. وقد صرَّحوا بأن الخلاف ليس في الكعبة المعظَّمة، فإنها أفضل من المدينة كلِّها إلا البقعةَ التي ضمَّت أعضاء الجسد الشَّريف للنبي ﷺ، فإنها أفضل بقاع الأرض.

***

(١٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي طَلْحَةَ: «الْتَمِسْ لِي غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي». فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ يُرْدِفُنِي وَرَاءَهُ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُلَّمَا نَزَلَ. وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا بَدَا لَهُ أُحُدٌ قَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ». فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْـمَدِينَةِ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا مِثْلَ مَا حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ». [مسلم: ١٣٦٥].

● «يُردِفني»: يُركِبني خلفَه فوق الدابَّة.

«أُحُد»: جبلٌ بالمدينة.

«يُحِبُّنا»: يحبُّنا أهلُه وهم أهل المدينة، ويجوز أن تُسنَد المحبةُ إلى أُحدٍ نفسِه حقيقةً، بأن يخلُقَها الله فيه، والله على كلِّ شيء قدير.

«جبلَيها»: قيل: هما عَيْرٌ وثَوْرٌ، جبلان على طرفَي المدينة الشمالي والجنوبي. وقيل: هما بمكة وسمَّاهما النبيُّ ﷺ عَيْرًا وثَوْرًا تجوُّزًا وارتجالًا.

«أحرِّم»: أُظهِر حُرمتها. والمكانُ الحرام والمحرَّم: الآمِن المحترَم الممنوع مما يقتضي إهانتَه.

«مثلَ ما حرَّم به إبراهيمُ»: هو الدعاء بالتحريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

أو معناه: أحرِّم المدينة بهذا اللفظ- وهو «أحرِّم»- كما حرَّم به إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام مكةَ.

قيل: كانت مكة حلالًا قبل دعوة إبراهيم عليه السلام كسائر البلاد، وبدعوته صارت حرمًا آمنًا، كما صارت المدينة بتحريم رسول الله ﷺ أمنًا بعد أن كانت حلالًا.

«مُدِّهم وصاعِهم»: هما مِكيالان قديمان، والمراد: الدعاء بالبركة فيما يُكال بهما من الطعام.

* * *

(١٣) عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ رضي الله عنه: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَبُوكَ حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى المَدِينَةِ فَقَالَ: «هَذِهِ طَابَةُ». [البخاري: ١٨٧٢].

• «تَبوك»: موضع بالشام، وإليه نُسِبت غزوةٌ من غزوات النبي ﷺ.

«طابةُ»: اسم من أسماء المدينة كطَيْبة، وهما من «الطِّيب» وهو الرائحة الحسنة، وقيل: من «الطَّيِّب» وهو الطاهر؛ لخلوصها من الشرك وطهارتها، وقيل: من طِيب العيش بها. وكان اسمها «يَثرِب» فكرهه النبي ﷺ وسمَّاها بذلك، وسبب كراهة تسميتها «يَثرِبَ» لفظُ «التثريب» الذي هو التوبيخ واللَّوم، وسُميت «طابة» و«طَيْبة» لحُسن لفظهما، وكان ﷺ يحب الاسم الحَسَن ويَكره الاسمَ القبيح. وأمَّا تسميتُها في القرآن «يثرب» فإنما هو حكايةٌ عن قول المنافقين والذين في قلوبهم مرض[1].

* * *

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٢ - ١٣].

(٤) طهارة قلب النبي ﷺ

(١٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ. وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ- يَعْنِي ظِئْرَهُ- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ! فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ». قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ».

[مسلم: ١٦٢].

❁ «فصَرَعه»: فطَرَحه وألقاه على ظهره.

«علقةً»: دمًا غليظًا، وهو أم المفاسد والمعاصي في القلب.

«حظُّ الشيطان منك»: نصيبه لو دام معك.

«طَسْت»: إناء كبير مستدير يُغسَل فيه.

«لأَمَه»: أصلح موضع شَقِّ القلب وأعاده.

«ظِئره»: مرضعتَه حليمةَ السَّعدية. وقال الغلمان: إن محمدًا قد قتل؛ لأن تصور حياته بعد شق البطن ومعالجته من خوارق العادة وعلامة النبوة.

«منتَقَع اللون»: متغيِّره.

«المِخيَط»: الإبرة.

(١٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ». [البخاري: ٣٤٩].

- «ففرَج صدري»: شَقَّه.

«أطبَقَه»: غطَّاه ولأَم شَقَّه.

قيل: إن شَق الصدر وقع للنبي ﷺ مرتين، فالشق الأول كان لاستعداده لنزع العَلَقة التي قيل له عندها: «هذا حظ الشيطان منك»، والشق الثاني كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة.

* * *

(٥) حسن أخلاق النبي ﷺ

(١٦) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ[1]: فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. [البخاري: ٤].

❁ «زمِّلوني»: غطُّوني بالثياب ولُفُّوني بها.

«لقد خشيتُ على نفسي»: ليس هو بمعنى الشك فيما أتاه من الله تعالى، لكنه ربما خَشي ألا يَقوَى على مقاومة هذا الأمر، ولا يَقدِرَ على حمل أعباء الوحي، فتزهَقَ نَفْسُه.

«وتَحمِل الكَلَّ»: تُعِين الضعيف المنقطِع، ويدخل في حَمل الكَلِّ الإنفاقُ على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك؛ لأن الكَلَّ: من لا يَستقلُّ بأمره.

«وتَكسِب المعدوم»: تحصِّل المال للخير، أو تعطي الفقير المحتاج.

«وتَقري الضيف»: تُطعم النازلَ بك وتُكرِمه.

«وتُعين على نوائب الحق»: النوائب: جمع «نائبة» وهي ما ينزل بالمرء من

---

(١) في حديثِ بَدْء الوَحي.

«وتَقري الضيف»: تُطعم النازلَ بك وتُكرِمه.

«وتُعين على نوائب الحق»: النوائب: جمع «نائبة» وهي ما ينزل بالمرء من الحوادث، وإنما أضيفت إلى «الحق»؛ لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر.

***

(١٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا، فَأَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «جَابِرٌ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: أَبْطَأَ عَلَيَّ جَمَلِي وَأَعْيَا فَتَخَلَّفْتُ، فَنَزَلَ يَحْجُنُهُ بِمِحْجَنِهِ ثُمَّ قَالَ: «ارْكَبْ»، فَرَكِبْتُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ. قَالَ: «تَزَوَّجْتَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟» قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: «أَفَلَا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟» قُلْتُ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ وَتَمْشُطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ قَادِمٌ، فَإِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ». ثُمَّ قَالَ: «أَتَبِيعُ جَمَلَكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَاشْتَرَاهُ مِنِّي بِأُوقِيَّةٍ. ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ قَبْلِي وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ، فَجِئْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، قَالَ: «آلْآنَ قَدِمْتَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَدَعْ جَمَلَكَ فَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ»، فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ، فَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يَزِنَ لَهُ أُوقِيَّةً، فَوَزَنَ لِي بِلَالٌ فَأَرْجَحَ لِي فِي الْمِيزَانِ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى وَلَّيْتُ فَقَالَ: «ادْعُ لِي جَابِرًا»، قُلْتُ: الْآنَ يَرُدُّ عَلَيَّ الْجَمَلَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ! قَالَ: «خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ». [البخاري: ٢٠٩٧].

❁ «يَحْجُنه»: يطعَنه.

«المِحجَن»: عصًا مَحنيَّة الطَّرَف.

«رأيته أكفه»: لسُرعتِه بعد أن حَجَنه النبي ﷺ.

«ثيبًا»: تزوَّجَت من قبلُ.

«جاريةً»: بِكرًا.

«فالكَيْس»: الكَيس: العقل، وكأنه ﷺ أمره باستعمال الحِلم والملاطفة للأهل، وذلك مقتضى العقل. وقيل: الكيس: الجماع، والكيس: العقل، فكأنه جعل طلب الولد بالجماع عقلًا وكَنى به عن الجماع. وقيل: يُحتمَل أن يكون أمَره بالتوقي والحذر من إصابة أهله إذا كانت حائضًا؛ لطول غَيبته.

«بأُوقية»: الأوقيَّة: أربعون دِرهمًا، والدرهم: معيار للأوزان، وقطعة من فضة مضروبة للمعامَلة.

* * *

(١٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا». [البخاري: ٣٥٥٩].

* «فاحشًا»: ناطقًا بالفُحش، وهو الزيادة على الحد في الكلام السيئ.

«متفحشًا»: متكلِّفًا لذلك متعمدًا له.

أي: لم يكن له الفحش خُلقًا ولا مكتَسَبًا ﷺ.

* * *

(١٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ». [البخاري: ٣٥٦٣].

* عيب الطعام: هو أن يقول: هذا مالح، قليل المِلح، حامض، رقيق، غليظ، غير ناضج، ونحو ذلك.

وعدم عيب الطعام من حسن الأدب مع الله تعالى؛ لأنه إذا عاب المرء ما كَرِهه من

الطعام فقد رَدَّ على الله رزقَه، وقد يَكره بعضُ الناس من الطعام ما لا يَكرهه غيرُه، ونِعَم الله تعالى لا تُعاب، وإنما يجب الشكرُ عليها والحمد لله لأجلها؛ لأنه لا يجب لنا عليه شيء منها، بل هو متفضِّل في إعطائه عادل في مَنعِه.

* * *

(٢٠) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَكْسُوكَ هَذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ! فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لَامَهُ أَصْحَابُهُ قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ! فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا. [البخاري: ٦٠٣٦].

● «بُرْدة»: كِساء كانت العرب تَلتحِف به فيه خطوط.

«لا يُسأَل شيئًا فيمنعَه»: يعطي كلَّ من طلب ما يَطلبُه.

* * *

(٢١) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ فَاحِشًا وَلَا لَعَّانًا وَلَا سَبَّابًا، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ المَعْتَبَةِ: «مَا لَهُ؟ تَرِبَ جَبِينُهُ!». [البخاري: ٦٠٤٦].

● «المَعتَبة»: الملامة والعتاب، أو الغضب.

والمعنى: غايةُ ما يقوله عند المعاتبة أو المخاصمة لأحدٍ هذه الكلمةُ مُعرِضًا عنه غيرَ مخاطِب له: «ما لَه؟ تَرِب جبينُه!». وهي أيضًا ذات وجهين؛ إذ يُحتمَل أن يكون دعاءً على المَقُول له بمعنى: رَغِم أنفُه، وأن يكون دعاءً له بمعنى: سَجَد لله وجهُه.

(٢٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، فَرُبَّمَا تَحْضُرُ الصَّلَاةُ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ ثُمَّ يُنْضَحُ، ثُمَّ يَؤُمُّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا». [مسلم: ٦٥٩].

● «أحسن الناس خُلقًا»: لحيازته جميعَ المحاسن والمكارم وتكامُلها فيه، ولِما اجتمع فيه من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصُره حدٌّ ولا يحيط به عدٌّ؛ أثنى الله عليه به في كتابه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، فوصفه بالعِظَم وزاده في المِدحة بـ«على» المشعِرة باستعلائه على معالي الأخلاق واستيلائه عليها فلم يصل إليها مخلوق. وكمالُ الخُلق ينشأ عن كمال العقل؛ لأنه الذي تُقتبَس به الفضائل وتُجتنَب الرذائل.

* * *

(٢٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟!». [البخاري: ٦١٢٩].

● «لَيُخالِطنا»: غاية المخالطة، ويعاشرنا نهاية المعاشرة، ويجالسنا ويمازحنا.

«ما فَعل النُّغير»: تصغير «نُغَر»، وهو طائر يشبه العُصفور أحمر المنقار، وقيل: هو العصفور، وقيل: أهل المدينة يسمونه البُلبُل، كان أخو أنسٍ الصغيرُ يلعب به. والمعنى: ما جرى له حيث لم أره معك؟ أي: انتهت مخالطته لأهلنا كلِّهم حتى الصبيِّ وحتى ملاعبته وحتى السؤال عن فعل النُّغير.

* * *

(٢٤) قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ: وَالله لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ الله ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ الله. قَالَ أَنَسٌ: وَالله لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ، مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا. [مسلم: ٢٣١٠].

✽ «والله لا أذهَب»: يُحمَل قولُه هذا لرسول الله ﷺ وأمثالُه على أنه كان صبيًّا غير مكلَّف؛ ولذا ما أدَّبه ﷺ بل داعَبه وأخذ بقفاه وهو يضحك رفقًا به.

«حتى أمُرَّ على صِبيان»: إلى أن مررت في طريقي على صبيان وهم يلعبون في السوق، والظاهر أنه وقف عندهم إما للَّعبِ أو للتفرُّج.

«أُنيس»: تصغير «أنَس»؛ للشفقة والمَرحمة.

«أنا أذهب»: الآن أُكمِل الذَّهابَ.

وفيه: بيانُ كمالِ خُلقه ﷺ وحُسن عشرته وحِلمه وصَفحه.

***

(٢٥) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله فَيَنْتَقِمَ لله ﷻ». [مسلم: ٢٣٢٨].

✽ «ولا امرأةً ولا خادمًا»: خُصَّا بالذِّكر اهتمامًا بشأنهما، ولكثرة وقوع ضرب

هذين والاحتياج إليه، وضربُها وإن جاز بشرطه فالأَوْلى تركُه.

«نِيلَ مِنه»: أُصِيب.

وهذا الحديث يدلُّ الأمراءَ وسائرَ الحكامِ والعلماء إلى أنه ينبغي لكل واحد منهم أن يتجافى عن الانتقام لنفسه؛ تأسِّيًا بنبيه ﷺ، ولا ينسى الفضل والأخذ به في العفو عمَّن ظلمَه.

***

(٢٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً». [مسلم: ٢٥٩٩].

* «لم أُبعَث لعانًا»: فلا أدعو عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

«بُعِثت رحمةً»: للناس عامَّة وللمؤمنين خاصة، متخلِّقًا بوصفَي الرحمن الرحيم، ولقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، أمَّا للمؤمنين فظاهر، وأما للكافرين فلأن العذاب رُفع عنهم في الدنيا بسببه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣]. وقيل: إنما بُعثت لأقرِّبَ الناسَ إلى الله وإلى رحمته، وما بُعثت لأُبعِدَهم عنها، فاللعن مُنافٍ لحالي، فكيف أَلعَن؟!

***

(٦) تواضع النبي ﷺ

(٢٧) عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعَرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللهِ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ». [البخاري: ٣٠٣٤].

● فيه: أن النبي ﷺ كان يَشرَك أصحابَه في العمل لا يتميز عليهم؛ تواضعًا لله تعالى،

فكان ﷺ أشد الناس تواضعًا على علو منصبه ورِفعة قَدْره.

***

(٢٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ». [البخاري: ٦٠٧٢].

● وهذا يدل على غاية تواضعه ﷺ مع الخَلق، وبراءتِه من جميع أنواع الكِبْر، ومصاحبة من يطلبه مهما كان حتى يقضي له حاجته.

وفيه أنواع من المبالغة؛ من جهة أنه ذَكَر المرأةَ لا الرجلَ، والأمةَ لا الحُـرَّة، وعَمَّـم بلفظ «الأَمَة» أيْ: أيَّ أمةٍ كانت، وقـال: «حيـث شـاءت» أي: مـن الأمكنـة، وعـبر بالأخذ باليد الذي هو غاية التصرف ونحوه.

* * *

(٢٩) عَنِ الْـمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ: أَنَّ أَبَاهُ مَخْرَمَةَ قَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، إِنَّـهُ بَلَغَنِـي أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَدِمَتْ عَلَيْهِ أَقْبِيَةٌ فَهُوَ يَقْسِمُهَا، فَاذْهَبْ بِنَا إِلَيْـهِ، فَـذَهَبْنَا فَوَجَـدْنَا النَّبِـيَّ ﷺ فِي مَنْزِلِهِ، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، ادْعُ لِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَعْظَمْتُ ذَلِكَ فَقُلْتُ: أَدْعُو لَكَ رَسُولَ الله ﷺ؟! فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لَيْسَ بِجَبَّارٍ، فَدَعَوْتُهُ فَخَرَجَ وَعَلَيْـهِ قَبَـاءٌ مِـنْ دِيبَـاجٍ مُـزَرَّرٌ بِالذَّهَبِ فَقَالَ: «يَا مَخْرَمَةُ، هَذَا خَبَأْنَاهُ لَكَ»، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. [البخاري تعليقـًا: كتـاب اللبـاس، باب المزرَّر بالذهب].

◆ «أقبية»: جمع «قَبَاء»، وهو ثوب يُلبَس فوق الثياب ويوضع عليه النِّطاق.

«وعليه قَبَاء من دِيباج مزرَّر بالذهب»: هذا يُحتمل أن يكون وقع قبـل التحـريم، فلما وقع تحريم الحرير والذهب على الرجال لم يبقَ في هذا حجـة لمـن يُبـيح شـيئًا مـن ذلك، ويُحتمل أن يكون بعد التحريم فيكون أعطاه ليَنتفِع بـه بـأن يكسُوَه النسـاءَ أو ليبيعَه، ويكون معنى قوله: «فخرج وعليه قَباء» أي: على يده، فيكون من إطلاق الكل على البعض.

«إنه ليس بجبَّار»: فيه تواضع النبي ﷺ وحُسن تلطُّفه بأصحابه.

* * *

(٣٠) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي»، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي! وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى». [البخاري: ١٢٨٣].

* «فلم تجد عنده بوَّابين»: وذلك أنه كان من شأنه ﷺ ألا يتخذ بوابًا مع قدرته على ذلك تواضعًا، وكان من شأنه أنه لا يستتبع الناس وراءه إذا مشى كما جرت عادة الملوك والجبابرة؛ فلذلك اشتبَه على المرأة فلم تعرفه مع ما كانت فيه من شاغل الوَجد والبكاء. وكأنه لما قيل لها: «إنه النبي ﷺ»، استشعرت خوفًا وهيبة في نفسها، وتصورت أنه مثل الملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول إليه، فوجدت الأمر بخلاف ما تصورته.

«إنما الصبر عند الصدمة الأولى» أي: الصبرُ الكامل المَرْضِيُّ المثابُ عليه عند ابتداء المصيبة وأول لحوق المشقة، وإلا فكل أحد يصبر بعدها.

***

(٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْعَالَمِينَ، فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ يَدَهُ فَلَطَمَ الْيَهُودِيَّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ

بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ».
[البخاري: ٣٤٠٨].

❁ «استبَّ»: من «السبِّ»، وهو الشتم.

«فلَطَم اليهودي»: إنما صَنع ذلك لِما فَهِمه من عموم لفظ «العالَمين»، فدخل فيه محمد ﷺ، وقد تَقرَّر عند المسلم أن محمدًا أفضل، فلطم اليهودي عقوبةً له على كَذِبه.

«لا تخيِّروني على موسى»: لا تجعلوني خيرًا منه، أو لا تفضلوني عليه وغيرِه من أصحاب النبوة تفضيلًا يؤدي إلى إيهام المَنقَصة أو إلى تسبُّب الخصومة. قاله ﷺ على سبيل التواضع أولًا، ثم ليَردَع الأمة عن التخيير بين أنبياء الله من تلقاء أنفسهم ثانيًا؛ فإن ذلك يفضي بهم إلى العصبية، فينتهز الشيطان منهم عند ذلك فرصةً يدعوهم إلى الإفراط والتفريط، فيُطرُون الفاضل فوق حقه ويَبخسون المفضول حقَّه، فيَقعون في مَهواة الغَي.

«يَصعَقون»: الصَّعق: أن يُغشَى على الإنسان من صوت شديد يَسمَعه وربما مات منه، ثم استُعمل في الموت كثيرًا.

«ممن استثنى اللهُ»: في قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨].

* * *

(٣٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ[1] قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَمْسًا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَزِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: صَلَّيْتَ خَمْسًا، قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَذْكُرُ كَمَا تَذْكُرُونَ، وَأَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ»، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَي السَّهْوِ. [مسلم: ٥٧٢].

● قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]، فمحمد ﷺ وسائرُ الأنبياء من البشر أُرسلوا إلى البشر، ولولا ذلك ما أطاق الناس مقاومتَهم والقَبول عنهم ومخاطبتهم، وفُضِّلوا على سائر الناس بوحي الله تعالى، ولا يمكن في سنة الله إرسالُ المَلَك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه وقوَّاه على مقاومته كالأنبياء والرسل، فالأنبياء والرسل عليهم الصلاة السلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه، يبلِّغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده، ويعرِّفونهم بما لم يعلموه من أمره وحقِّه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته، فظواهرهم وأجسادهم وبِنيتهم متصفة بأوصاف البشر، طارئٌ عليها ما يَطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية، وأرواحُهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر، متعلقة بالملأِ الأعلى، متشبهة بصفات الملائكة، سليمة من التغير والآفات، لا يَلحَقها غالبًا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية.

---

(١) إذا أُطلِق «عبد الله» في مرتبة الصحابي فهو ابن مسعود ﷺ.

وكان سهوه ﷺ في الصلاة من تمام نعمة الله على أمته وإكمالِ دينهم؛ ليقتدوا به فيما يَشرَعه لهم عند السهو.

***

(٣٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ». [البخاري: ٣٤٤٥].

● «لا تُطرُوني»: من «الإطراء»، وهو المديحُ بالباطل، وقيل: الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكَذبُ فيه.

«كما أطرَت النصارى ابنَ مريم»: في دعواهم في عيسى بالألُوهية وغيرِ ذلك.

«فإنما أنا عبدُه ورسوله»: هذا من هضمِه نفسَه وإظهارِه التواضعَ ﷺ.

***

(٣٤) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ الله ﷺ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ، وَكَانَتْ لَا تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا: سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى الله أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ». [البخاري: ٦٥٠١].

● «أعرابيٌّ»: هو الذي يسكُن البادية.

«قَعود»: قيل: القَعود من الإبل: ما أمكن أن يُركَب، وأدناه أن يكون له سَنتان، ثم هو قعود إلى السنة السادسة، ثم هو جَمل.

«إن حقًّا على الله» أي: مما جرت به العادة الإلهية غالبًا.

«أن لا يَرفع شيئًا من الدنيا إلا وَضَعه» **يعني: أن عدم الارتفاع حقٌّ على الله تعالى، وهذا تزهيد في الدنيا وحثٌّ على التواضع.**

ويقال: إن هذه العضباء لم تأكل بعد وفاة رسول ﷺ ولم تشرب حتى ماتت.

* * *

(٧) حلم النبي ﷺ وعفوه

(٣٥) عَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاسًا فِي الْقِـسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًـا مِـنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَالله إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله! فَقُلْتُ: وَالله لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُـهُ فَأَخْبَرْتُـهُ فَقَـالَ: «فَمَـنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ؟! رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِـأَكْثَرَ مِـنْ هَـذَا فَـصَبَرَ». [البخاري: ٣١٥٠].

❁ فيه: أن أهل الفضل قد يُغضبهم ما يقـال فـيهم ممـا لـيس فـيهم، ومـع ذلـك فيتلقَّون ذلك بالصبر والحلم كما صنع النبي ﷺ؛ اقتداءً بموسى عليه السلام، وأشار بقوله: «قَـدْ أُوذِيَ» إلى قـول الله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وأيضًا جواز إخبار الإمام وأهلِ الفضل بما يقال فيهم مما لا يليق بهـم؛ ليَحـذَروا القائل. وبيان ما يباح من الغِيبة والنميمة؛ لأن صورتهما موجودة في صنيع ابن مسعود رضي الله عنه، ولم يُنكِرْه النبي ﷺ؛ وذلك أنَّ قَصْد ابن مسعود كان نُصحَ النبي ﷺ وإعلامَـه بمن يَطعَن فيه ممن يُظهر الإسلام ويُبطن النفاق؛ ليَحذر منه، وهـذا جـائز كـما يجـوز

التجسس على الكفار ليُؤمَن من كيدهم، وقد ارتكب الرجل المذكور بها قال إثمًا عظيمًا، فلم يكن له حرمة.

* * *

(٣٦) عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ الله ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ: «مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ» قَالَ: أَوْ قَالَ: «عَلَيَّ». قَالَ: قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: «لَا». قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ الله ﷺ. [مسلم: ٢١٩٠].

● «ما زلت أعرِفها» أي: العَلَامة، كأنه بقي للسمِّ علامةٌ وأثر من سوادٍ أو غيرِه.

«لَهوات»: جمع «لَـهَاة»، وهي اللحمة الحمراء المعلَّقة في أصل الحنك. وقيل: اللحَمات اللواتي في سقف أقصى الفم.

وفيه: بيان عصمته ﷺ من الناس كلِّهم، كما قال الله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧]، وهي معجزة لرسول الله ﷺ في سلامته من السمِّ المهلِك لغيره.

* * *

(٣٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ». فَسَمِعَهَا

عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا، وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ! قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «دَعْهُ؛ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ». [مسلم: ٢٥٨٤].

● «فكَسَع»: ضرب دُبُره بيدٍ أو رِجل أو سيف وغيره.

«عبد الله بن أبيٍّ»: رأس المنافقين في المدينة.

وفيه: ما كان عليه ﷺ من الحِلم. وترك بعض الأمور المختارة، والصبر على بعض المفاسد؛ خوفًا من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظمُ منها، وكان ﷺ يتألَّف الناس، ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم؛ لتقوَى شوكة المسلمين، وتتمَّ دعوة الإسلام، ويتمكنَ الإيمان من قلوب المؤلَّفة، ويَرغَب غيرُهم في الإسلام، وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى، ولإظهارهم الإسلام، وقد أُمِر بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، ولأنهم كانوا معدودين في أصحابه ﷺ، ويجاهدون معه إما حَمِيَّةً، وإما لطلب دنيا، أو عصبيةً لمن معه من عشائرهم.

* * *

(٣٨) عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَـمَّا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»، فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ. [البخاري: ٩٤٦].

● «لم يُرَد منا ذلك» أي: إنما أراد ﷺ منا سرعةَ الخروج.

قيل: التعنيف إنما يقع على العاصي المتعمّد المعصية وهو يعلم أنها معصية، وأما مَن تأوَّل قصدًا للخير، فهو وإن لم يصادف الحقَّ غيرُ معنَّف.

* * *

(٣٩) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا». [البخاري: ٢٨٢١].

❁ «مَقفَله»: وقت رجوعه.

«فعَلِقه الناس يسألونه» أي: جعلت الأعراب يطلُبون منه العطايا.

«اضطروه»: ألجئُوه.

«سَمُرة»: شجرة طويلة، متفرقة الرأس، قليلة الظل، صغيرة الورق والشوكِ، صلبةُ الخشب.

«العِضَاه»: كل شجر له شوك.

«نَعَمًا»: الإبل والبقر والغنم.

«لا تَجِدُونِي»: لا نافية، والأصل: لا تَجِدُونَنِي، بنونِ الرفع ونونِ الوقاية[1]، وفي

(١) نون الرفع: هي التي تَثبُت في الأفعال الخمسة في حالة الرفع، نحو: يعلمانِ، تعلمانِ، يعلمونَ، تعلمونَ، تعلمينَ. ونون الوقاية: هي التي تَلحَق آخِر الفعل واسمِ الفعل وبعضِ الحروف وبعض الأسماء عند اتصالها بياء المتكلِّم، نحو: نصرَنِي، ينصرُنِي، انصرْنِي. ودَرَاكِنِي، وتَرَاكِنِي،

مثل هذا يجوز إثبات النونين على الأصل، أو حذف إحداهما- على خلافٍ في المحذوفة منهما- كما في ضبط هذا الحديث، أو إدغام نون الرفع في نـون الوقايـة فتَـصيرانِ نونًـا مشدَّدة كما في قوله تعالى: ﴿ تَأْمُرُونِّيَ ﴾ [الزمر: ٦٤]، وقـد قُـرئ أيـضًا بفـك النُّـونَين، وبتخفيف النون على الحذف.

وفيه: حلم النبي ﷺ على الناس وإن أساءوا معـه أدبَ المعاملـة. وأنـه لا بـأس للرجل الفاضل أن يُخبر عن نفسه بما فيه من الخلال الشريفة عندما يخـاف سـوء ظـن أهل الجهالة. وأنه ﷺ أصدقُ الناس وأشجع الناس.

***

(٤٠) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ : أَنَّ الْيَهُودَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْـكَ، فَلَعَنْتُهُمْ، فَقَالَ: «مَا لَكِ؟» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «فَلَمْ تَـسْمَعِي مَـا قُلْـتُ: وَعَلَيْكُمْ؟». [البخاري: ٢٩٣٥].

✽ «الـسَّام»: المـوت العاجـل. وكـان اليهـود- لعـنهم الله- يـأتون النبـي ﷺ فيقولون: السام عليك، يريدون بذلك السلامَ ظاهرًا وهم يَعنُون الموتَ باطنًا.

«فلم تسمعي ما قلتُ: وعليكم؟»: يعني: السامُ عليكم، فرددت عليهم ما قالوا، فإن ما قلت يستجاب لي، وما قالوا لغوٌ يُرَد عليهم. وكان ﷺ لين الجانـب في القـول والفعل يأخذ بالأسهل، ويَبعُد عن سيِّئ الكلام.

***

وعَلَيْكَني، أسماءُ أفعالِ أمرٍ بمعنى: أَدرِكْني واترُكْني والزَمْني. وليتَني، وإنني، ومنِّـي. ولَـدُنِّي، وأنتم صادِقُونِي، وأَخوَفُني عليكم. وسُميت نونَ الوقاية؛ لأنها تَقِي آخِرَ الفعل من الكسر.

(٤١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟!». قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاشِزُ الْجَبْهَةِ كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ مُشَمَّرُ الْإِزَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ! فَقَالَ: «وَيْلَكَ! أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ؟!». قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «لَا؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي»، قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ! فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ». قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ فَقَالَ: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». قَالَ: أَظُنُّهُ قَالَ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ». [مسلم: ١٠٦٤].

❁ «بِذَهَبة»: قطعة من ذهب.

«أَدِيم مقروظ»: جلد مدبوغ بالقَرَظ، وهو شجر يُستخرج منه صبغ يُدبغ به.

«تُحصَّل»: تُخلَّص.

«غائر العينين» أي: عيناه داخلتان في محاجرهما لاصقتان بقعر الحَدَقة، وهو ضد الجحوظ.

«مشرِف الوجنتين»: بارزهما، والوجنتان: العظمان المشرفان على الخدين.

«ناشز الجبهة»: مرتفِعها.

«الإزار»: ثوب يُحيط بالنصف الأسفل من البدن.

قيل: إنما مَنع ﷺ قتل الرجل وإن كان قد استوجب القتل؛ لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولا سيَّما مَن صلَّى، كما تقدم نظيره في قصة عبد الله بن أبي. وقيل: يُحتمَل أن يكون النبي ﷺ لم يفهم من الرجل الطعن في النبوة، وإنما نَسَبَه إلى ترك العدل في القسمة، وليس ذلك كبيرة، والأنبياء معصومون من الكبائر بالإجماع.

«مُقَفٍّ»: مُوَلٍّ قد أعطى قَفَاه.

«ضِئضِئ هذا»: الضئضئ: الأصل، يريد أنه يخرج من نسله الذين هو أصلهم، أو يخرج من أصحابه وأتباعه الذين يقتدون به ويبنون رأيهم ومذهبهم على أصل قوله.

«قوم»: هم الخوارج. وهي فرقة من الفرق الإسلامية خرجوا علَى الإمام عليٍّ ﷺ وخالفوا رأيه.

«الرمِيَّة»: الصيد المَرمِي، شبَّه مروقهم من الدين بالسهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه، ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يَعلَق به من جسد الصيد شيء.

وقد استُشكل قولُه ﷺ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ» مع أنه نَهَى خالدًا ﷺ عن قتل أصلهم. وأجيب بأنه أراد إدراكَ خروجهم واعتراضِهم المسلمين بالسيف، ولم يكن ظَهَر ذلك في زمانه ﷺ، وأول ما ظهر في زمان عليٍّ ﷺ كما هو مشهور.

* * *

(٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ حَقٌّ فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا»، فَقَالَ لَهُمْ: «اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ»، فَقَالُوا: إِنَّا لَا نَجِدُ إِلَّا سِنًّا هُوَ خَيْرٌ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: «فَاشْتَرُوهُ فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ؛ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ - أَوْ خَيْرَكُمْ - أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً». [مسلم: ١٦٠١].

* «فهمَّ به أصحاب النبي ﷺ»: أراد أصحابُ النبي ﷺ أن يؤذوه بالقول أو الفعل، لكن لم يفعلوا أدبًا مع النبي ﷺ.

«مَقالًا»: صَولة الطلب وقوة الحجة، لكن مع مراعاة الأدب المشروع.

«اشتروا له سنًّا»: التمسوا له مثلَ سنِّ بَعِيره.

«فإن من خيركم أحسنكم قضاءً»: فيه جواز وفاء ما هو أفضل من المِثل المقترَض إذا لم تقع شَرطيةُ ذلك في العَقد، وإلا يحرُم حينئذ اتفاقًا.

وفيه: أن من آذى السلطان بجفاء أو استنقاص، أن حقًّا على أصحابه وجلسائه أن يعاقبوه على ذلك وينكروا عليه الجفاء وإن لم يأمرهم السلطان بذلك، وليس لهم أن يتركوا مثل هذا إلا أن ينهاهم السلطان عنه، كما نَهى النبي ﷺ الذين همُّوا بالذي أغلظ له.

* * *

(٤٣) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما: أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ تَحْتَ

شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ؟ قُلْتُ: اللهُ، فَشَامَ السَّيْفَ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ»، ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ. [البخاري: ٢٩١٣].

● «اخترط سيفي»: استلَّه من غمده.

«فشام السيف»: ردَّه في غمده.

قيل: وكأن الأعرابيَّ لما شاهد ذلك الثبات العظيم من النبي ﷺ، وعرف أنه حيل بينه وبينه، تحقَّق صدقَه وعَلِم أنه لا يصل إليه، فألقى السلاح وأمكَن من نفسه.

***

(٤٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ». [البخاري: ٣١٤٩].

● «بُرد»: ثوب مخطَّط.

«نَجْراني»: منسوب إلى «نَجْران» بلدٌ باليمن.

«الحاشية»: الطَّرَف.

«فالتفت إليه»: فنظر إليه تعجبًا.

«ضَحِك» أي: تلطفًا. وهذا يدل على أنه ﷺ لم يتغير ولم يتأثر من سوء أدب الأعرابي.

وفيه: استحباب احتمال الوالي مِن أذى قومِه.

***



(٨) كرم النبي ﷺ

(٤٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ». [البخاري: ٦].

❁ «أجود الناس»: أكثر الناس جودًا، والجود: الكرم، وهو من الصفات المحمودة. فهو ﷺ أسخى الناس؛ لَمَّا كانت نفسُه أشرف النفوس، ومِزاجه أعدل الأمزجة، فلا بد أن يكون فعلُه أحسن الأفعال، وشكله أملح الأشكال، وخُلقه أحسن الأخلاق.

وفي تقديم ابن عباس هذه الجملة على ما بعدها احتراس بليغ؛ لئلا يُتخيل من قوله: «وكان أجودُ ما يكون في رمضان» أن الأجودية خاصة منه برمضان، فأثبت له الأجودية المطلقة أولًا ثم عَطف عليها زيادةَ ذلك في رمضان.

«الريح المرسَلة»: المبعوثة لنفع الناس وللرحمة.

* * *

(٤٦) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ». [البخاري: ٢٨٢٠].

◆ فيه: بيان ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ من جميل الصفات، وأن هذه صفات كمال.

* * *

(٤٧) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا». [مسلم: ٢٣١١].

◆ «ما سُئل شيئًا قطُّ فقال: لا»: ما طُلب منه شيء من أمر الدنيا فمنعه. وليس المراد: أنه يعطي ما يُطلَب منه جزمًا، بل المراد: أنه لا ينطق بالرد، بل إن كان عنده أعطى إن كان الإعطاء سائغًا، وإلا سكت أو اعتذر أو وعد.

* * *

(٤٨) عَنْ جَابِرٍ ﷺ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي المَسْجِدِ فَقَضَانِي وَزَادَنِي». [البخاري: ٢٦٠٣].

◆ «فقضاني»: أدَّى دَيني.

«وزادني»: يدل على أن الزيادة بعد القضاء لا تعد من الربا، بل من حسن الأداء وجميل الوفاء، ما دامت غير مشروطة.

* * *

(٤٩) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ

بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا»[1]. [البخاري: ٢٨٢١].

* * *

(٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ، الْحَقْ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ إِلَيَّ»، قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا. [البخاري: ٦٢٤٦].

❁ «أهل الصُّفَّة»: هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منزلٌ يسكنه، وكانوا يأوُون إلى صُفَّة[2] في مسجد النبي ﷺ يُقيمون بها.

* * *

(٥١) قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْمًا، فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَغَيْرُ هَؤُلَاءِ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ، قَالَ: «إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ أَوْ يُبَخِّلُونِي، فَلَسْتُ بِبَاخِلٍ». [مسلم: ١٠٥٦].

❁ «الفحش»: الزائد في الخروج عن حد الصواب، وكلُّ شيء جاوز قدرَه فهو فاحش. ويُشبه أن يكون هؤلاء الذين أعطاهم من المؤلَّفة قلوبُهم.

ومعناه: أنهم ألَحُّوا في المسألة؛ لضعف إيمانهم، وألجئوني بمقتضى حالهم إلى السؤال بالفحش أو نسبتي إلى البخل، ولست بباخل. وقصدوا بذلك أحد شيئين: إما أن يَصِلوا إلى ما طلبوه، وإما أن ينسبوه إلى البخل، فاختار ﷺ ما يقتضيه كرمُه من

---

(1) تقدم في «حلم النبي ﷺ وعفوه»، حديث (٣٩).

(2) موضع مظلَّل.

إعطائهم ما سألوه وصبرِه على جَفوتهم، فسَلِم من نسبة البخل إليه.

وفيه: مداراة أهل الجهالة والقسوة وتألُّفُهم إذا كان فيهم مصلحة. وجواز دفع المال إليهم لهذه المصلحة. وجواز الإعطاء لحفظ العِرض.

* * *

(٥٢) عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُمَا حَتَّى كَالَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ لَكُمْ». [مسلم: ٢٢٨١].

❁ «شَطْر وَسْق»: نصف وسق، والوسق ستون صاعًا أو حِمل بَعِير، ويحتمل أن يراد بالشطر: البعض، فإنه من معانيه، وهو أنسب بالمَقام لدلالته.

«كالَهُ»: حدَّد مقداره بأداة كَيل.

«لقام لكم»: بقي. وكانت البركة تنزل في ذلك الطعام، فاستطال الرجل مُدَّته فكاله ينظر ما بقي، فلما وَقَف مع العادات غير متلمِّح في تلك الحالة مِنحةَ البركة، وُكِل إلى مقتضى العادة. أما الكيل عند البيع والشراء فمأمور به؛ لإقامة القِسط والعدل، وفيه البركة والخير.

* * *

(٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَصَابَنِي جَهْدٌ شَدِيدٌ، فَلَقِيتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَاسْتَقْرَأْتُهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَدَخَلَ دَارَهُ وَفَتَحَهَا عَلَيَّ، فَمَشَيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ فَخَرَرْتُ لِوَجْهِي مِنَ الْجَهْدِ وَالْجُوعِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَقَامَنِي وَعَرَفَ الَّذِي بِي، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَحْلِهِ فَأَمَرَ

لِي بِعُسٍّ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «عُدْ يَا أَبَا هِرٍّ»، فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ: «عُدْ»، فَعُدْتُ فَشَرِبْتُ حَتَّى اسْتَوَى بَطْنِي فَصَارَ كَالْقِدْحِ. قَالَ: فَلَقِيتُ عُمَرَ وَذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِي وَقُلْتُ لَهُ: فَوَلَّى اللهُ ذَلِكَ مَنْ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ يَا عُمَرُ، وَاللهِ لَقَدِ اسْتَقْرَأْتُكَ الْآيَةَ وَلَأَنَا أَقْرَأُ لَهَا مِنْكَ، قَالَ عُمَرُ: وَاللهِ لَأَنْ أَكُونَ أَدْخَلْتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي مِثْلُ حُمْرِ النَّعَمِ. [البخاري: ٥٣٧٥].

* «جَهْد»: شدة جوع.

«وفتحَها عليَّ»: قرأها عليَّ وأفهمني إياها.

«لبَّيك رسولَ الله وسَعدَيك» أي: أجبت لك مرة بعد أخرى، وطلبت السعادة لإجابتك في الأولى والأخرى. وقيل غير ذلك.

«بعُسٍّ»: هو القَدَح الضخم.

«حتى استوى بطني»: حتى استقام لامتلائه من اللبن.

«كالقِدْح»: هو السهم الذي لا رِيش له.

«حُمْر النَّعَم»: الإبل الحُمْر، وهي أَنفَس أموال العرب، يَضرِبون بها المَثل في نَفاسة الشيء.

***

(٥٤) عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ». فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا». [مسلم: ٢٣١٢].

* «غنمًا بين جبلين»: كثيرة تملأ ما بين جبلين.

«لَيُعطِي عطاءً» أي: عظيمًا.

«ما يَخاف الفقر»: يجوز أن يكون حالًا للنبي ﷺ من ضمير «يعطي»، وأن يكون صفةَ العطاء، أي: عطاءً ما يَخاف الفقرَ معه.

وقد استدل هذا الرجل على صدق النبي ﷺ ودعا قومه إلى الإسلام؛ لأن مقام ادعاء النبوة مع إعطاء الجزيل يدل على وثوقه بمن أرسله إلى دعوة الخلق، فإن من جِبِلَّة الإنسان خوفَ الفقر.

* * *

(٩) زهد النبي ﷺ

(٥٥) عِنْ أَنَسٍ قَالَ: «مَا أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ خُبْزًا مُرَقَّقًا وَلَا شَاةً مَسْمُوطَةً حَتَّى لَقِيَ اللهَ». [البخاري: ٥٤١٤].

* «مرقَّقًا»: مُليَّنًا مُحسَّنًا.

«مسموطة»: المسموط: الذي أُزيلَ شَعره بالماء المسخَّن وشُوي بجلده أو يُطبَخ، وإنما يُصنع ذلك في الصغير السِّن الطَّريِّ، وهو مِن فِعل المترَفِين من وجهين:

أحدهما: المبادرة إلى ذبح ما لو بقي لازداد ثمنه.

وثانيهما: أن المسلوخ يُنتفع بجلده في اللُّبس وغيره والسَّمْط يُفسِده.

قيل: كان النبي ﷺ يُوسِر في وقت ثم بعد قليل يَنفَد ما عنده؛ لإخراجه في طاعة الله من وجوه البر وإيثار المحتاجين وضيافة الطارقين وتجهيز السَّرايا وغير ذلك.

***

(٥٦) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: «ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْـهِلَالِ ثُمَّ الْـهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتِ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا». [البخاري: ٢٥٦٧].

❁ «ثلاثةَ أهِلَّة في شهرَين»: باعتبار رؤية الهلال في أول الشهر الأول، ثم رؤيته في أول الشهر الثاني، ثم رؤيته في أول الشهر الثالث، فيَصدُق عليه ثلاثةُ أهِلَّة ولكن المدة ستُّون يومًا.

«مَنائح»: جمع «مَنِيحة»، وهي ناقة أو شاة يعطيها المرءُ غَيرَه لينتفع بها ثم يردَّها عليه.

وفيه: زهد النبيِّ ﷺ في الدنيا، والصبر على التقلل، وأخذ الكَفَاف من العيش، وإيثار الآخرة على الدنيا.

***

(٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى قُبِضَ». [البخاري: ٢٥٦٧].

❁ «حتى قُبض»: إشارة إلى استمراره ﷺ على تلك الحال مدةَ إقامته بالمدينة وهي عشر سنين، بما فيها من أيام أسفاره في الغزو والحج والعمرة.

***

(٥٨) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عَلَى سُكُرُّجَةٍ قَطُّ، وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ، وَلَا أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ قَطُّ». قيل لقَتَادة[1]: فعَلَامَ كانوا يأكلون؟ قال: على السُّفَر. [البخاري: ٥٣٨٦].

---

(١) راوي الحديث عن أنس ﷺ.

* «سُكُرُّجة»: إناء صغير تؤكَل فيه المشهِّيات. قيل: وكانت العجم تستعملها في المُخلَّلات على الموائد حول الأطعمة للتشهي والهضم، فأَخبَرَ أن النبي ﷺ لم يأكل على هذه الصفة قطُّ. وقيل: تركه الأكلَ في السُّكُرُّجة إما لكونها لم تكن تُصنع عندهم إذ ذاك، أو استصغارًا لها؛ لأن عادتهم الاجتماع على الأكل، أو لأنها كانت تُعَد لوضع الأشياء التي تعين على الهضم، ولم يكونوا غالبًا يشبعون فلم يكن لهم حاجة بالهضم.

«خِوَان»: مائدة لها قوائم من كل جانب، وهو شيء محدَث فعلته الأعاجم ولم تَعهَده العرب[1]، وإنما كان ﷺ يأكل على السُّفرة ونحوها مما يُبسَط ويوضع عليه الطعام جِلدًا كان أو غيرَه[2].

***

(٥٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُنْتَبَذُ لَهُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَيَشْرَبُهُ إِذَا أَصْبَحَ يَوْمَهُ ذَلِكَ وَاللَّيْلَةَ الَّتِي تَجِيءُ، وَالْغَدَ وَاللَّيْلَةَ الْأُخْرَى، وَالْغَدَ إِلَى الْعَصْرِ، فَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ سَقَاهُ الْخَادِمَ أَوْ أَمَرَ بِهِ فَصُبَّ». [مسلم: ٢٠٠٤].

---

(١) وعدم فعله ﷺ ذلك استنبَط منه بعض العلماء كراهةَ ذلك الفعل، من باب التنزُّه عما يؤدي إلى الكبر والتَّرف.

(٢) قال الإمام أبو حامد الغزالي: فلسنا نقول: الأكل على المائدة منهيٌّ عنه نهيَ كراهةٍ أو تحريم؛ إذ لم يَثبُتْ فيه نهيٌ، وما يقال: إنه أُبدِع بعد رسول الله ﷺ فليس كلُّ ما أُبدِع منهيًّا، بل المنهي بدعةٌ تُضادُّ سنةً ثابتة، وترفع أمرًا من الشرع مع بقاء عِلته، بل الإبداعُ قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيَّرت الأسباب، وليس في المائدة إلا رفعُ الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثالِ ذلك مما لا كراهة فيه.

◆ «يُنتَبذ له»: الانتباذ: إلقاء التمر أو الزبيب في جَرَّة ماء أو غيرها؛ ليكتسِبَ الماءُ منه حلاوة.

«سقاه الخادمَ أو أمَر به فصُب»: معناه: تارة يسقيه الخادم، وتارة يصبُّه؛ وذلك الاختلاف لاختلاف حال النبيذ، فإن كان لم يَظهر فيه تغيُّر ونحوه من مبادئ الإسكار سقاه الخادم ولا يُرِيقه؛ لأنه مال تَحرُم إضاعته، ويَترُك شربَه تنزهًا، وإن كان قد ظهر فيه شيء من مبادئ الإسكار والتغير أراقه؛ لأنه إذا أسكر صار حرامًا ونَجِسًا، فيُراق ولا يسقيه الخادم؛ لأن المسكر لا يجوز سقيُه الخادمَ كما لا يجوز شربُه، وأما شربه ﷺ قبل الثلاث فكان حيث لا تغيُّر ولا مبادئ تغير ولا شك أصلًا.

* * *

(٦٠) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «مَا رَأَى رَسُولُ الله ﷺ النَّقِيَّ مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ الله حَتَّى قَبَضَهُ الله». [البخاري: ٥٤١٣].

◆ «النَّقِي»: خُبز الدَّقيق الذي نُخِل مرةً بعد مرةٍ حتى يصيرَ نظيفًا أبيضَ.

«قبضه الله»: توفَّاه.

* * *

(٦١) عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: «فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرَمَّلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ» [البخاري: ٤٣٢٣].

◆ «مُرَمَّل»: معمول بالرِّمال، وهي حبال الحُصر التي تُضفَر بها الأَسِرَّة. وقيل: هو الذي يُنسَج في وجهه بالسَّعف ونحوِه ويُشَد بشريط ونحوه. والمراد: أنه كان السرير قد نُسج وجهه بالسَّعَف ولم يكن على السرير وِطاءٌ سوى الحصير.

* * *

(٦٢) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَدَمٍ وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ».

[البخاري: ٦٤٥٦].

✿ «أَدَم»: جِلد مدبوغ[1].

«لِيف»: ورق النخل.

وفيه: إيذان بكمال زهده ﷺ وإعراضِه عن الدنيا ونعيمها وفاخر مَتاعها.

* * *

(٦٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا».

[البخاري: ٦٤٦٠].

✿ «قُوتًا»: القوت: ما يَسُد الرَّمَق. وقيل: كفايتهم من غير إسراف، بحيث لا يُعييهم الجَهد ولا تُرهقهم الفاقة ولا تُذِلُّهم المسألة والحاجة، ولا يكون في ذلك أيضًا فُضول يخرج إلى الترف والتبسط في الدنيا والركون إليها.

وفيه: فضيلة التقلل من الدنيا، والاقتصار على القوت منها، والدعاء بذلك.

* * *

(٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الجُوعُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ

(1) دَبْغ الجلد: معالجته بما يُلينه ويُزيل ما به من رطوبة ونَتن.

الله ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ المَاءِ. إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لله، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي! قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ». [البخاري: ٢٠٣٨].

❁ «قوموا فقاموا»: هكذا هو في الأصول بضمير الجمع، والخطاب لاثنين، وهو جائز بلا خلاف، لكن الجمهور يقولون: إطلاقه على الاثنين مجاز[1]، وآخرون يقولون: حقيقة.

«يَستعذِب لنا الماء»: يأتينا بماء عَذْب.

«بعِذْق»: غُصن من النخل.

«بُسْر»: التمر قبل أن يُرطِب.

«المُدْية»: السِّكِّين.

«الحَلُوب»: ذات اللَّبَن.

وفيه: ما كان عليه النبي ﷺ وكبار أصحابه ﷺ من التقلل من الدنيا، وما ابتُلوا به من الجوع وضيق العيش في بعض الأوقات. ودليلٌ على جواز الشِّبَع، وما جاء في

---

(1) المَجاز من الكلام: ما تَجاوَز ما وُضِع له من المعنَى.

كراهة الشبع فمحمول على المداومة عليه؛ لأنه يقسِّي القلب ويُنسِي أمر المحتاجين.

وأما السؤال عن هذا النعيم فقيل: هو السؤال عن القيام بحق شكره، والذي يُعتَقد أن السؤال هنا سؤال تَعدادِ النِّعم وإعلامٍ بالامتنان بها وإظهار الكرامة بإسباغها، لا سؤالُ توبيخ وتقريع ومحاسبة. والله أعلم.

* * *

(٦٥) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: «أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ». [مسلم: ٢٩٧٧].

❁ «الدَّقَل»: رَديء التمر ويابِسه.

وهذا مَسُوق لما كان عليه ﷺ من الإعراض عن الدنيا، وعدم الاهتمام بتحصيل مَلاذِّها ونعيمها.

* * *

(٦٦) عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَبْصَرَ - يَعْنِي أُحُدًا- قَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنَّهُ تَحَوَّلَ لِي ذَهَبًا يَمْكُثُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا دِينَارًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمُ الْأَقَلُّونَ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ».

[البخاري: ٢٣٨٨].

❁ «أُرصِده»: أهيِّئه وأُعِدُّه.

«الأكثرون»: مالًا.

«الأقلون»: ثوابًا.

«إلا من قالَ بالمال هكذا وهكذا»: إلا من صَرَف المال على الناس يَمينًا وشِمالًا

وأمامًا، أي: أكثرَ التصدق في جهات الخير كلِّها. و«قال» هنا ليس من القَول بمعنى الكلام، بل معناه: صَرف أو فَرَّق أو أعطى ونحو ذلك؛ لأن العرب تجعل القول بمعنى الفِعل وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده أي: أَخَذ، وقال برجله أي: مَشَى.

وجمعُ المال وإن كان مباحًا لكن الجامع مسئول عنه، وفي المحاسبة خَطر، فالتَّرك أَسْلَم، وما ورد في الترغيب في تحصيله وإنفاقه في حقه حُمل على من وَثِق من نفسه بأنه يجمعه من حلال صِرف يَأمن معه من خطر المحاسبة.

* * *

(٦٧) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ». [البخاري: ٣٠٩٧].

● «وما في بيتي شيءٌ يأكله ذو كَبِد»: شَمِل جميعَ الحيوان، وانتَفى جميع المأكولات.

«شَطر شَعير»: المراد بالشطر هنا: البعض، والشطر يُطلق على النصف وعلى ما قارَبه.

«في رفٍّ لي»: الرفُّ: شِبه الطَّاق في الحائط، وقيل: الرَّف: خشب يرتفع عن الأرض في البيت يوضع فيه ما يُراد حِفظُه.

«فكِلتُه ففَنِي»: حدَّدتُ مقدارَه ففَرَغ. قيل: فيه أن البركة أكثرُ ما تكون في المجهولات والمبهَمات.

وفيه: ما كان عليه ﷺ من الأخذ من العيش بالاقتصاد وما يسد الجَوعة. وأنه ﷺ كان

يؤثِر غيرَه بما عنده، فلا يُبقِي عنده من متاع الدنيا شيئًا.

* * *

(٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ وَقَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ». [البخاري: ٥٤١٤].

❁ «مَصلِيَّة»: مشويَّة.

«فدعَوه فأبَى أن يأكل»: ليس هذا من ترك إجابة الدعوة؛ لأن إجابة الدعوة واجبة في الوليمة(١) لا في كل الطعام، وإجابة الدعوة إلى غيرها مستحَبَّة أو مباحة. وكأن أبا هريرة استحضر حينئذ ما كان فيه النبيُّ ﷺ من شدة العيش، فزهِد في أكل الشاة.

* * *

(٦٩) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ». [مسلم: ٢٩٧٤].

❁ وهذا كان لاختيار النبي ﷺ الفقرَ، وتَرْكَ الدنيا ولذَّاتها، وقناعتِه بأدنى قُوته، وإيثارِه الفقراءَ والمساكين على نفسه مع وجود الاحتياج والمحبة لِما يؤثِر به، كما قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝﴾ [الإنسان: ٨].

* * *

(٧٠) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى

---

(١) وهي طعام العُرس.

حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟» قُلْتُ: بَلَى. [مسلم: ١٤٧٩].

❁ «أَفِيق»: جلد لم يُدبَغ.

«قَرَظًا»: ورق شجر يُدبَغ به.

«فابتدرَتْ عيناي»: سالت دموعُها.

❋ ❋ ❋

(٧١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا؟! فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ». [مسلم: ١٤٧٨].

❁ «واجمًا»: حزينًا مُهتمًّا.

«بنت خارجة»: زوجة عمر ﷺ.

«فوَجَأتُ عنقَها»: ضربت عنقها بيدي أو بالسِّكِّين ونحوها.

«يسأَلْنَني النَّفقة» أي: زيادتَها عن عادتها، أو فوق الحاجة.

وفيه: ما كان عليه ﷺ من التقلل من الدنيا والزَّهادة فيها.

* * *

(٧٢) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ». [البخاري: ٢٩١٦].

● فيه: ردٌّ على من قال: صار ﷺ في آخر عُمره غنيًّا، نَعَم وقع مال كثير في يده لكنه ما أمسَكه، بل صرَفه في مرضاة ربه، وكان دائمًا غني القلب بغِنى الرب.

* * *



(١٠) خشية النبي ﷺ لله

(٧٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُو[...] أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: [...] نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ [...]كُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النـ[...] سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». [البخاري: ٥٠٦٣].

● «ثلاثةُ رهط»: ثلاثة رجال من الصحابة.

«تَقالُّوها»: استقلُّوها، وجدوها أو عَدُّوها قليلة؛ لما تصورو[...] مما أُخبِروا به بكثير. وقد راعَوا الأدب حيث لم ينسبوه ﷺ إلى [...]، بل اظهروا كماله ولاموا أنفسهم في مقابلتهم إياها بالنبي ﷺ.

«إني لأخشاكم لله» أي: أنا أعلم به وبما هو أعزُّ لديه وأكر[...] ما ذكرتموه من الإفراط في العمل أحسنَ مما أنا عليه مِنْ الِاعتدال ما اعـ[...]ضت عنه.

«وأتقاكم له»: إشارة إلى أن الخشية التي لا تُورِث التقوى لا [...]

«رغِب عن سنتي»: مال وأعرض عنها استهانة وزهدًا فيها، لا كسلًا وتهاونًا.

«فليس مني»: ليس هو من أشياعي.

* * *

(٧٤) قَالَتْ عَائِشَةُ: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً». [البخاري: ٦١٠١].

❁ «فرخَّص فيه»: سهَّل فيه من غير مَنع.

«فتَنَزَّه عنه قوم»: احترزوا عنه ولم يَقرَبوه.

«إني لأعلَمُهم بالله» أي: فإن احترزوا عنه لخوف عذاب الله فأنا أعلمُ بقَدْر عذاب الله، فأنا أَوْلى بالاحتراز.

وفيه: الحثُّ على الاقتداء به ﷺ، والنهيُ عن التعمق، وذمُّ التنزه عن المباح.

* * *

(٧٥) عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ: أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُقَبِّلُ الصَّائِمُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَلْ هَذِهِ» لِأُمِّ سَلَمَةَ، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ للهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ». [مسلم: ١١٠٨].

❁ قيل: يجوز للرجل أن يقبِّل امرأته وهو صائم؛ لأن النبي ﷺ كان يَفعل ذلك، لكن إن خَشي الوقوعَ فيها حرَّم الله عليه لكونه سريعَ الشهوة كُرِه له ذلك.

* * *

(٧٦) عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَفْتِيهِ وَهِيَ تَسْمَعُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ أَفَأَصُومُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَأَصُومُ»، فَقَالَ: لَسْتَ مِثْلَنَا يَا رَسُولَ الله؛ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «وَالله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لله وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي». [مسلم: ١١١٠].

● «تُدرِكني الصلاة»: صلاةُ الصبح. أي: من أدركه الفجرُ وهو جُنُب فصيامه صحيح ولا شيء عليه.

«والله إني لأرجو أن أكونَ أخشاكم لله وأعلَمَكم بما أتَّقِي» أي: ما غُفِر من ذنبي لا يمنعني أن أكون أخشاكم لله، بل أنا أخشاكم، ومن خشيتي له أني أعلَمُكم بما أجتَنِب، وأنتم لا تعلمون، فلا بد من الاقتداء.

***

(٧٧) عَنْ عُقْبَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ». [البخاري: ٨٥١].

● «تِبر»: ذَهَب. والظاهر: أنه كان من مال الصدقة أو غيرها من الأموال التي يجب قسمتها على المساكين ونحوهم.

«يَحبِسني»: يمنعني تأخيرُ قسمته عن مَقام القرب من الله.

***

(٧٨) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِتَمْرَةٍ فِي الطَّرِيقِ قَالَ: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا». [البخاري: ٢٤٣١].

❁ ذَكَرَ ﷺ أنه لم يمتنع من أكل التمرة إلا تورعًا؛ لخشية أن تكون من الصدقة.

وفيه: حرمة الصدقة على النبي. وجواز أكل ما يوجَد من المحقَّرات[1] ملقًى في الطرقات؛ لأنه ﷺ ما تركها لكونها مرميَّةً في الطريق فقط، وإنما لخوف كونها من الصدقة المحرَّمة عليه.

قيل: فالتمرة ونحوُها من محقَّرات الأموال لا يجب تعريفُها، بل يباح أكلُها والتصرف فيها في الحال.

❁ ❁ ❁

(٧٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ أَكَلَ مِنْهَا، وَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا» [مسلم: ١٠٧٧].

❁ فارقت الصدقةُ الهديةَ حيث حُرِّمت عليه تلك وحَلَّت له هذه، بأن القصد من الصدقة ثواب الآخرة، وذلك يُنبِئ عن عزِّ المعطي وذلِّ الآخذ في احتياجه إلى الترحم عليه والرفق به، والقصد من الهدية التقربُ إلى المُهدَى إليه وإكرامُه بها، ففيها غاية العزة والرفعة له، وأيضا فمن شأن الهدية مكافأتُها في الدنيا؛ ولذا كان ﷺ يأخذ الهدية ويُثيب عِوَضَها عنها، فلا مِنَّة ألبتَّةَ فيها، بل لمجرد المحبة، وأما جزاء الصدقة ففي العقبى ولا يجازيها إلا اللهُ تعالى.

❁ ❁ ❁

---

(١) الشيء اليسير الذي لا يرجع إليه أهلُه.

(٨٠) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَتِ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُمْتَحَنَّ بِقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[1] [الممتحنة: ١٢]. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِحْنَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ»، وَلَا وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلَامِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ قَطُّ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، وَمَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: «قَدْ بَايَعْتُكُنَّ» كَلَامًا. [مسلم: ١٨٦٦].

❁ «يُمتَحَنَّ»: يُختبَرنَ فيما يتعلق بالإيمان فيما يرجع إلى ظاهر الحال دون الاطِّلاع على ما في القلوب.

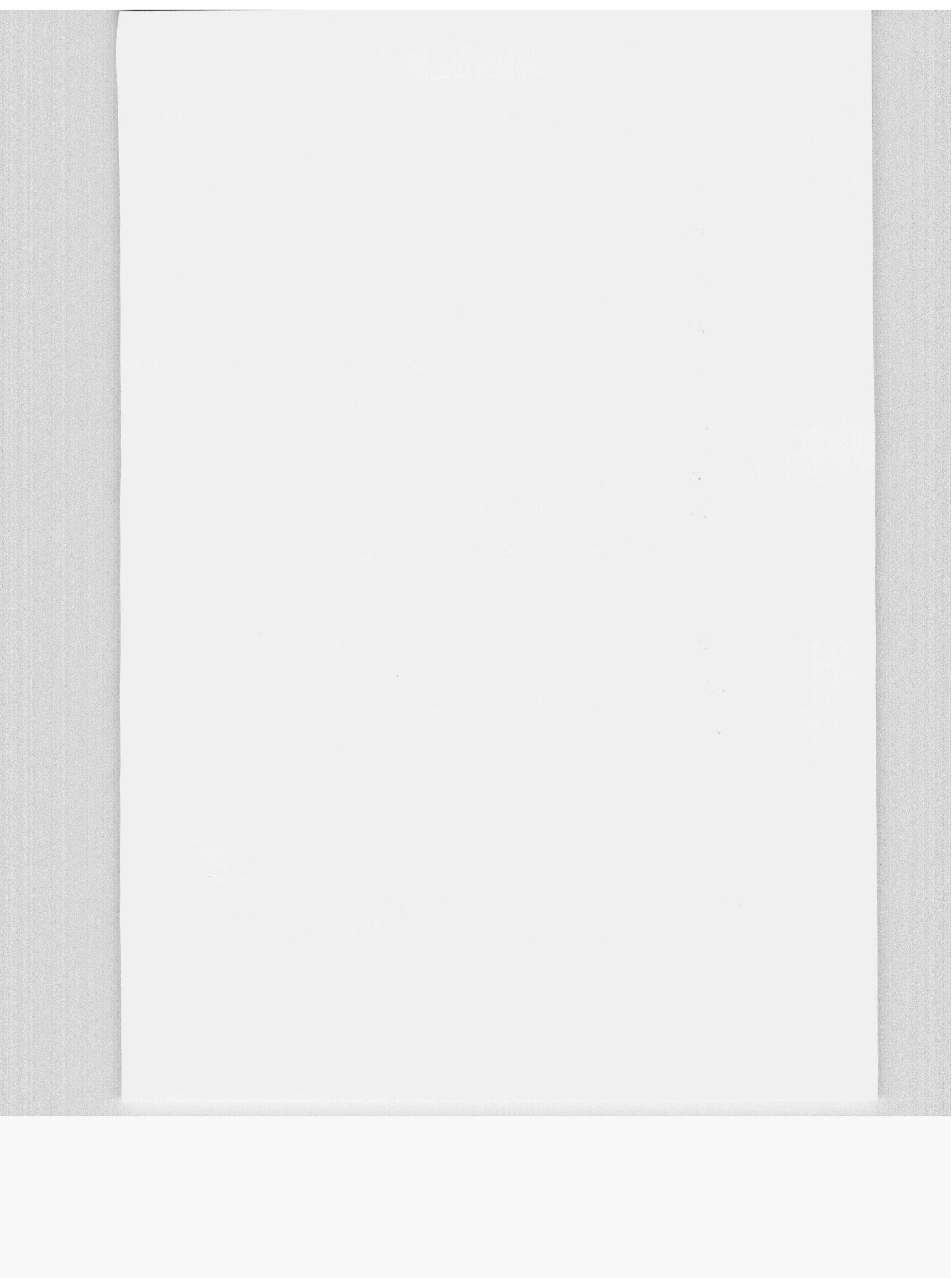
«أقَرَّ بالمِحنة»: بايع البَيعة الشرعية.

وفيه: أن بيعة النساء بالكلام من غير أخذ كفٍّ، وأن بيعة الرجال بأخذ الكف مع الكلام. وأن كلام الأجنبية يباح سماعُه عند الحاجة، وأن صوتها ليس بعورة. وأن الرجل لا يَلمِس بَشَرة الأجنبية من غير ضرورة كتطبيب ونحوِه مما لا توجد امرأة تفعله.

❁ ❁ ❁ ❁

---

(1) وتَتِمَّتُها: ﴿ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾.



(١١) بشاشة النبي ﷺ وضحكه

(٨١) عَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا». [البخاري: ٣٠٣٦].

● «ما حَجَبني»: ما مَنَعني مما التمستُ منه، أو من دخولِ دارِه.

وفيه: أن لقاء الناس بالتبسُّم وطَلاقة الوجه من أخلاق النبوة، وهو مُنافٍ للتكبُّر وجالبٌ للمودَّة. وأنه لا بأس للإمام أو للعالِمِ إذا خاطَب إنسانًا أن يضع عليه يدَه ويضرِب بعضَ جسده، وذلك من التواضع واستمالة النفوس.

* * *

(٨٢) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ وَهُوَ حَلِيفُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرْضِعِيهِ»، قَالَتْ: وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ؟! فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ!». [مسلم: ١٤٥٣].

● «أرى في وجهِ أبي حُذيفةَ من دخولِ سالم»: أرى الكراهة في وجه أبي حذيفة، وهو زوجها، وهي ضَرَّةُ مُعتِقة سالم، وقيل: كان سالم مُتَبَنَّى أبي حذيفة، وجاء في

الحديث أنه حَليفُه[1]. وكان يدخُل عليها كما يدخل العبد الناشئ منزل سيده ثم يُعتَق فيدخُل أيضًا بالإِلْف المتقدِّم والتربية، وهذا ما لا ينكره الناس من مِثل سالمٍ بل ممن هو دونَه.

«أرضِعِيه»: أراد رسول الله ﷺ بمَحلِّ أبي حذيفة وسالم عنده وما أحَبَّ من ائتلافها ونَفي الوَحشة عنها، أن يُزيلَ عن أبي حذيفة هذه الكراهة ويطيِّبَ نفسه بدخول سالم، فقال لسَهلة: «أرضِعِيه»، ولم يُرِد ضَعي ثديك في فَمِه كما يُفعَل بالأطفال، ولكن أراد احلُبي له من لبنِك شيئًا ثم ادفَعِيه إليه ليشربَه، ليس يجوز غيرُ هذا؛ لأنه لا يَحِل لسالم أن ينظُر إلى ثديها إلى أن يَقَع الرَّضاع، فكيف يُبيح له ما لا يَحِلُّ له وما لا يُؤمَن معه من الشهوة؟ ومما يدل على هذا التأويل أيضًا أنها قالت: «يا رسول الله، وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟» فتبسم ﷺ ونبَّهها إلى أنه رجلٌ كبير.

قيل: وتبسُّمه ﷺ في هذا الموضع دليل على أنه تلطَّف بهذا الرضاع لِما أراد من الائتلاف ونفي الوحشة، من غير أن يكونَ دخولُ سالم كان حرامًا. والجمهور على خصوص ذلك الحكمِ بتلك الحادثة وليس عامًّا، أو أنه حُكم منسوخ.

* * *

(٨٣) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: «أَصَبْتُ جِرَابًا مِنْ شَحْمٍ يَوْمَ خَيْبَرَ، قَالَ: فَالْتَزَمْتُهُ فَقُلْتُ: لَا أُعْطِي الْيَوْمَ أَحَدًا مِنْ هَذَا شَيْئًا، قَالَ: فَالْتَفَتُّ فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ مُتَبَسِّمًا». [مسلم: ١٧٧٢].

---

(١) الحليف: المعاهِد على النُّصرة والحماية.

❁ «جِرابًا»: وعاء من جِلد.

«فالتزمتُه»: عانقتُه وضَمَمتُه.

«لا أعطِي اليومَ أحدًا من هذا شيئًا»: في قوله: «اليومَ» إشعار بأنه كان مضطرًّا إليه، وبلغ الاضطرار إلى أن يستأثر نفسَه على الغير، ولم يكن ممن قيل فيهم: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]؛ ومِن ثَم تبسَّم رسول الله ﷺ.

وفيه: جواز أخذ المجاهدين من طعام الغنيمة قدرَ ما يُحتاج إليه، وقد يُحتاج أيضًا إلى الشحم للسِّراج ونحوِه.

* * *

(٨٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَلَكْتُ! قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟» قَالَ: لَا، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟» قَالَ: لَا. قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالْعَرَقُ: الْمِكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ»، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ الله؟ فَوَالله مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي! فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ». [البخاري: ١٩٣٦].

❁ «وقعتُ على امرأتي»: جامعتُها.

«المِكتَل»: القُفَّة.

«لابَتَيها»: تثنية «لابَة» وهي الحَرَّة، أي: الأرض ذات الحجارة السود. وللمدينة لابتان: شرقية وغربية، وهي بينهما.

«فضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بدت أنيابُه»: كِناية عن المبالَغة، وكان أكثرُ ضحكه ﷺ تبسُّمًا.

وقيل في ضحك النبي ﷺ: إنه يُحتمل أن يكون لتباين حال الرجل، حيث كان في الابتداء متحرِّقًا متلهِّفًا حاكمًا على نفسه بالهلاك، ثم انتقل إلى طلب الطعام لنفسه. وقيل: قد يكون من رحمة الله تعالى، وتَوسعتِه عليه، وإطعامِه له هذا الطعام، وإحلالِه له بعد أن كُلِّف إخراجَه.

***

(٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ- وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، قَالَ: فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ». فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللهِ لَا تَجِدُهُ إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا؛ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ! فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ. [البخاري: ٢٣٤٨].

● «فبادر الطَّرْفَ نباتُه»: فسابق نباتُه تحريكَ الجفون، أي: فحَصَل نباتُه في الحال.

«دونَك يا ابنَ آدم»: خُذ ما تمنيتَه.

قيل: وضحكُ رسولِ الله ﷺ من فِطنة البدوي وإصابته للحق في استدلاله.

***

(٨٦) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَرَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ»، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ؟! قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ». [البخاري: ٣٢٩٤].

❁ «يَستكثِرنَه»: يطلُبن كثيرًا من كلامه وجوابه لحوائجهن وفتاويهن، ويُحتمَل أن يكون من العطاء.

«عاليةً أصواتُهن»: يُحمَل علوُّ أصواتهن على أنه كان باجتماعِها لا أن كلامَ كلِّ واحدة بانفرادها أعلى من صوته ﷺ، ويُحمَل على أنه كان قبل النهي عن رفعِ الصوت[1].

«يَبتدِرنَ الحجابَ»: يتسارَعْن إليه على مقتضَى آدابهن.

«أنت أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ»: تعبير عن شدة الخُلق وخشونة الجانب.

(١) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝﴾ [الحجرات: ٢].

قيل: ليست لفظة «أفعَل» هنا للمفاضلة[1]، بل هي بمعنى: فظٌّ غليظ، أما النبي ﷺ فقد وصفه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤]، وبقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد يصح حملُها على المفاضلة وأن القَدْر الذي منها في النبي ﷺ هو ما كان من إغلاظه على الكافرين والمنافقين، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التوبة: ٧٣]، وكان ﷺ يغضب ويَغلُظ عند انتهاك حرمات الله تعالى.

«فَجًّا»: طريقًا.

***

(٨٧) عَنْ أُمِّ حَرَامٍ - وَهِيَ خَالَةُ أَنَسٍ - قَالَتْ: أَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ عِنْدَنَا، فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ الله بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: «أُرِيتُ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ ظَهْرَ الْبَحْرِ كَالْـمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ»، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: فَإِنَّكِ مِنْهُمْ. قَالَتْ: ثُمَّ نَامَ فَاسْتَيْقَظَ أَيْضًا وَهُوَ يَضْحَكُ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ». قَالَ:

---

(١) «أفعَلُ التَّفضيلِ»: هو اسم يَدل على أن اثنين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر فيها، كما يقال: «هو أعلَمُ من أخيه» أي: كلاهما اشترك في صفة العلم، وفاق هو فيها أخاه. وقد يُستعمَل اسم التفضيل عاريًا عن معنى التفضيل، كقولك: «أكرمتُ القومَ أصغرَهم وأكبرَهم»، تريد: صغيرَهم وكبيرَهم.

فَتَزَوَّجَها عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بَعْدُ، فَغَزَا فِي الْبَحْرِ فَحَمَلَهَا مَعَهُ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ قُرِّبَتْ لَهَا بَغْلَةٌ فَرَكِبَتْهَا فَصَرَعَتْهَا فَانْدَقَّتْ عُنُقُهَا. [مسلم: ١٩١٢].

* «فقالَ عِندَنا»: نام القَيْلُولة، وهي نَومةُ نِصف النَّهار، أو الاستراحةُ فيه وإن لم يكن نومٌ.

«وهو يضحكُ»: فرحًا وسرورًا لكون أمَّته تَبقى بعده متعاونةً على أمور الإسلام قائمةً بالجهاد حتى في البحر.

«كالمُلوك على الأسِرَّة»: قيل: هو صفة لهم في الآخرة إذا دخلوا الجنة، والأصح أنه صفة لهم في الدنيا، أي: يركَبون مراكبَ الملوك بسَعة حالِهم واستقامة أمرِهم وكثرة عَددِهم. والأسِرَّة: جمع «سَرير»، وهو عَرش المَلِك.

«فصرعَتْها فاندقَّت عنقُها»: أسقطَتْها فانكسرَتْ عنقُها وماتت رضي الله عنها.

قيل: اتفق العلماء على أن أمَّ حَرَام كانت مَحرَمًا للنبي ﷺ، واختلفوا في كيفية ذلك، فقيل: كانت خالةً لرسول الله ﷺ من الرَّضَاع، وقيل: من النَّسَب؛ فالمَحْرَمِيَّة كانت سببًا لجواز دخوله ﷺ عليها وقيلولتِه عندها.

* * *

(٨٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَكْفَؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ». قَالَ: فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً... كَمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

قَالَ[1]: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامُ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا. [مسلم: ٢٧٩٢].

* «خُبزة»: الخبزة: عجين يوضَع في الحُفرة بعد إيقاد النار فيها. قيل: والمعنى: أن الله تعالى يجعل الأرض كالرغيف العظيم، يكون ذلك طعامًا لأهل الجنة، والله على كل شيء قدير.

«يَكفَؤُها»: يُميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي.

«نُزلًا»: ضِيافة.

«ثم ضَحِك»: فرحًا للمطابَقة والموافَقة.

«حتى بَدَت نواجِذُه»: جمع «ناجِذ» وهو ما يظهر عند الضحك من الأسنان، وقيل: هي الأنياب، وقيل: الأضراس، وقيل: الدواخل من الأضراس التي في أقصى الحَلْق.

«نُون»: حُوت.

***

(٨٩) عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيَّ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَبَتَّ طَلَاقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ، فَجَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَهَا آخِرَ ثَلَاثِ تَطْلِيقَاتٍ فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزَّبِيرِ، وَإِنَّهُ وَالله مَا مَعَهُ يَا رَسُولَ الله إِلَّا مِثْلُ هَذِهِ الْهُدْبَةِ، لِهُدْبَةٍ أَخَذَتْهَا مِنْ جِلْبَابِهَا. قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَابْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ بِبَابِ الْحُجْرَةِ لِيُؤْذَنَ لَهُ، فَطَفِقَ خَالِدٌ

(١) أي: اليهودي.

يُنَادِي أَبَا بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَا تَزْجُرُ هَذِهِ عَمَّا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ؟! وَمَا يَزِيدُ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى التَّبَسُّمِ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لَا حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ». [البخاري: ٦٠٨٤].

◆ «فبتَّ طلاقَها»: قَطَعها عن الرَّجعة بثلاث تطليقات.

«فقالت: يا رسولَ الله، إنها كانت عند رفاعة»: فيه التفات من التكلُّم إلى الغَيبة.

«الهُدْبة»: طَرَف الثوب الذي لم يُنسَج، وأرادت أن ذَكَره يُشبه الهُدبة في الاسترخاء وعدم الانتشار.

«خالد»: هو ابن سعيد بن العاص المذكور من قبل.

«عُسَيلتَه»: تصغير «عَسَلة»، وهو كناية عن الجِماع، شبَّه لذته بلذة العسل وحلاوته.

* * *

(٩٠) عَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ! فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧][1]. [البخاري: ٧٥١٣].

(١) والآيــة بتمامهــا: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

* «حَبْر»: عالِم.

«أنا الملِك»: القادر القوي القاهر المعبود بالحق.

***

(٩١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا: رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا!». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. [مسلم: ١٩٠].

* «فإن لك مكانَ كل سيئةٍ حسنةً»: هذا إما لكونه تائبًا إلى الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠]؛ لكن يُشكِل بأنه آخر أهل النار خروجًا، ويمكن أن يقال: فعلَ بعد التوبة ذنوبًا استحَقَّ بها العقابَ. وإما وقع التبديل له من باب الفضل من الله تعالى. والثاني أظهر، ويؤيده أنه حينئذ يطمع في كرم الله سبحانه فيقول: «ربِّ قد عملتُ أشياءَ» أي: من الكبائر «لا أراها ها هُنا» أي: في الصحائف، أو في مَقام التبديل.

***

(٩٢) عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ الله ﷺ؟ قَالَ: «نَعَمْ كَثِيرًا، كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوِ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ». [مسلم: ٦٧٠].

● «يتحدثونَ فيأخذونَ في أمرِ الجاهليَّة»: ومن جملة ما يتحدثون به: أنه قال أحدهم: ما نَفَع أحدًا صَنمُه مثلَ ما نفعني، قالوا: كيف هذا؟ قال: صنعتُه من الحَيْس[1]، فجاء القَحْط فكنت آكُلُه يومًا فيومًا! وقال آخر: رأيت ثَعلَبَين جاءا وصَعِدا فوق رأس صنمٍ لي وبالَا عليه، فقلت: أرَبٌّ يَبُول الثَّعلَبانِ برأسِه؟! فجئتُك يا رسول الله وأسلمتُ.

* * *

(٩٣) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ» قَالَ: «فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا» قَالَ: «فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي- أَوْ أَتَضْحَكُ بِي- وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟!». قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: «ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً». [مسلم: ١٨٦].

---

(١) الحَيس: تمرٌ يُنزَع نَوَاه ويُدَق مع لَبن محمَّض ويُعجنان بالسَّمن.

* «أتسخَرُ بي»: يجوز أن يكون هذا الكلام صَدَر من الرجل وهو غير ضابط لِما قاله؛ لِما ناله من السرور ببلوغ ما لم يَخطر بباله، فلم يَضبِط لسانه دَهَشًا وفَرَحًا، فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معناه.

قيل: إنما ضَحِك ﷺ استعجابًا وسرورًا بما رأى من كمال رحمة الله تعالى ولُطفه على عبده المذنِب وكمالِ الرِّضا عنه.

* * *

(٩٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا؟! فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ»[1]. [مسلم: ١٤٧٨].

* * *

(٩٥) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ، قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ». [مسلم: ٢٢٦٨].

---

(١) تقدم في «زهد النبي ﷺ»، حديث (٧١).

❁ «فلا يحدِّثْ به الناسَ»: لأنه ربَّما يصير ضُحْكة، فيحصُل له الخجل.

يُحتمَل أن النبي ﷺ عَلِم أن مَنامه هذا من الأضغاث بوحيٍ، أو بدَلَالةٍ من المنام دلَّته على ذلك، أو على أنه من المكروه الذي هو من تحزين الشياطين. وأما العابرون للرؤى فيتكلمون في كتبهم على قطع الرأس، ويجعلونه دلالةً على مفارقة الرائي ما هو فيه من النِّعم، أو زوال سلطانه، أو تغيُّر حاله في جميع أموره، إلا أن يكون مريضًا فيدل على شفائه، أو مَدِينًا فعلى قضاء دينه، أو لم يَحُجَّ فعلى أنه يَحُجُّ، أو مغمومًا فعلى فرحه، أو خائفًا فعلى أمنه. والله أعلم.

* * *

(٩٦) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ لَهُ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَحْرَقَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي!» قَالَ: فَنَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ لَيْسَ فِيهِ نَصْلٌ، فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ فَسَقَطَ فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى نَوَاجِذِهِ. [مسلم: ٢٤١٢].

❁ «جَمَع له النبيُّ ﷺ أبويه يومَ أُحُد» أي: في التَّفدِية، وهي قوله ﷺ: «فِداك أَبي وأمِّي».

«أحرقَ المسلمين»: بالغ في قتالهم، وعَمِل فيهم نحوَ عَمَل النار.

«نَزعتُ له بسهم»: رميتُه به.

«نَصْل»: حديدة السَّهم.

«فضَحِك رسول الله ﷺ»: فرحًا بقتله عدوَّه، لا لانكشافه.

(٩٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟» قَالَ: «يَقُولُ: بَلَى» قَالَ: «فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي» قَالَ: «فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا» قَالَ: «فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي» قَالَ: «فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ» قَالَ: «ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ» قَالَ: «فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا! فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ». [مسلم: ٢٩٦٩].

❁ «لا أُجيز»: لا أقبَل.

«إلا شاهدًا مني» أي: من جنسي؛ لأن الملائكة شَهِدوا علينا بالفساد قبل الإيجاد، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠].

«وبالكرامِ الكاتبينَ»: العُدول الكاتبين لصحف الأعمال. وقد بَذَل اللهُ تعالى للعبد مطلوبَه وزاد عليه شهادةَ الكَتَبة تأكيدًا وتقريرًا.

«لأركانه»: لأعضائه وأجزائه.

«سُحقًا»: هلاكًا.

«فعنكنَّ كنت أناضل»: أجادل وأخاصم وأدافع؛ لخلاصِكُن.

❁ ❁ ❁

(٩٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ رَسُولِ الله ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ كَشَفَ رَسُولُ الله ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ ضَاحِكًا. قَالَ: فَبُهِتْنَا وَنَحْنُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ فَرَحٍ بِخُرُوجِ رَسُولِ الله ﷺ، وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَارِجٌ لِلصَّلَاةِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ». قَالَ: «ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَرْخَى السِّتْرَ، قَالَ: فَتُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ». [مسلم: ٤١٩].

● «كأن وجهَه ورقةُ مُصحَف»: وجه التشبيه عبارة عن الجمال البارع وحسن الوجه وصفاء البشرة.

«بُهتنا»: دَهِشنا.

«ونكَص»: رجَع إلى ورائه.

«ليَصِلَ الصفَّ»: من «الوصول» لا من «الوصل»، أي: ليصلَ إلى الصف.

وسبب تبسُّمه ﷺ فرحُه بما رأى من اجتماعهم على الصلاة واتفاقِ كلمتهم وإقامتهم شريعتَه؛ ولهذا استنار وجهه.

* * * *

(١٢) بكاء النبي ﷺ ورأفته

(٩٩) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي المَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لله مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ الله، مَا هَذَا؟! قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا الله فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ». [البخاري: ٧٣٧٧].

● «تَقَعقَع»: تضطرِب وتتحرك.

«شَن»: القِربة البالية.

«هذه رحمةٌ» أي: الذي يفيض من الدمع من حزن القلب بغير تعمُّد من صاحبه ولا استدعاء لا مؤاخَذةَ عليه، بل يترتَّب عليه المثوبة؛ وإنما المنهيُّ عنه الجزع وعدم الصبر.

***

(١٠٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ فَقَالَ: «قَدْ قَضَى؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ: «أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا- وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ- أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ». وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا، وَيَرْمِي بِالْحِجَارَةِ، وَيَحْثِي بِالتُّرَابِ. [البخاري: ١٣٠٤].

❁ «اشتكى»: مَرِض.

«غاشية أهلِه»: الذين يَغشَونه للخدمة وغيرها.

«قَضَى»: مات.

«فبكَى النبيُّ ﷺ»: رحمةً عليه وتذكُّرًا لما صَدَر له من الخدمة بين يديه.

«يُعذِّب بهذا»: إذا قال ما لا يُرضي الله، بأن قال شرًّا من الجزع والنِّياحة.

«أو يَرحَم»: إن قال خيرًا، بأن استرجع مثلًا أو استغفَر أو ترحَّم.

«وإن الميت يُعذَّب ببكاء أهلِه عليه»: مع رفعِ الصوت والنَّوح عليه. وذهب جمهور العلماء إلى أن هذا الوعيد في حق من أَوصى بأن يُبكَى عليه ويُناحَ بعد موته، فهذا يعذَّب ببكاء أهله عليه ونَوحِهم؛ لأنه تسبب فيه، وأما من بَكَوا عليه وناحوا من غير وصية فلا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. وقيل: أراد بالميت: المشرِف على الموت، فإنه يشتد عليه الحال ببكائهم وصُراخهم وجَزعهم عنده.

(١٠١) عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»، قَالَ: فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ الله، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْـمَعَهُ مِـنْ غَـيْرِي»، فَقَرَأْتُ «النِّـسَاءَ» حَتَّـى إِذَا بَلَغْـتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] رَفَعْتُ رَأْسِي- أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي- فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ. [مسلم: ٨٠٠].

❁ قيل: وإنما بكى ﷺ عند هذا؛ لأنه مُثِّل لنفسه أهوالُ يوم القيامة، وشدةُ الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤالُه الشفاعةَ لهم ليريحَهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يَحِق له طول البكاء والحزن.

***

(١٠٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ- وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ- فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا[1]، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ». [البخاري: ١٣٠٣].

❁ «القين»: الحدَّاد.

(١) وفي نسخة: «إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا»، بضم الياء وكسر الضاد ونصب «ربنا».

«ظِئرًا»: مُرضِعًا، وأُطلق عليه ذلك لأنه كان زوجَ مرضِعة إبراهيمَ ابنِ النبي ﷺ. وقيل: الظِّئر: المربِّي والمرضع، يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث.

«وشمَّه»: وضع أنفَه ووجهه على وجهِه كمن يَشُمُّ رائحةً، وهذا يدلُّ على أن مَحبَّة الأطفال والترحُّم بهم سُنة.

«يَجود بنَفْسه»: يُخرجها ويَدفعها، أي: يَمُوت. وقيل: يتحرك ويتردد في الفراش لكونِه في النَّزْع.

«تَذرِفان»: تَدفَعان الدموعَ.

«وأنت يا رسولَ الله؟!»: فيه معنى التعجب، أي: الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل كفِعلهم؟! كأنه تعجَّب لذلك مع عهده منه ﷺ أنه يحثُّ على الصبر وينهى عن الجزع.

«إنها رحمةٌ» أي: الحالة التي شاهدتَها مني هي رقَّة القلب على الولد، لا ما توهَّمتَ من الجزع وقِلَّة الصبر.

«ثم أتبَعَها بأخرى»: قيل: أراد به أنه أتبعَ الدمعةَ الأولى بدمعة أخرى، وقيل: أتبَع الكلمةَ الأولى المجمَلة وهي قوله: «إنها رحمةٌ» بكلمة أخرى مفصَّلة وهي قوله: «إن العينَ تَدمَع...».

وفيه: إشارة إلى أن من لم يَحزَن فمن قسوة قلبه، ومن لم يدمع فمن قِلة رحمته، فهذا الحال أكمل عند أرباب الكمال.

* * *

(١٠٣) عَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ»، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ! «حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ». [البخاري: ٣٧٥٧].

● «نَعَى»: أخبَر بقتلِهم. وذلك في غزوة مُؤْتَةَ بالشام ضد الرُّوم.

«حتى أخذ سيفٌ من سيوفِ الله»: هو خالدُ بنُ الوَليد ﷺ.

«حتى فتحَ اللهُ عليهم»: بالنصر، أو الرجوعِ سالمين.

* * *

(١٠٤) عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ الله ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾ الْآيَةَ [إبراهيم: ٣٦]، وَقَالَ عِيسَى ﵇: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي!» وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﵇ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ. [مسلم: ٢٠٢].

● هذا الحديث مشتملٌ على أنواعٍ من الفوائد، منها: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته، واعتنائه بمصالحهم، واهتمامِه بأمرهم. ومنها: استحبابُ رفع اليدين في الدعاء. ومنها: البشارة العظيمة لهذه الأمة بما وعدها الله تعالى به، وهذا مِن أرجى

الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها. ومنها: بيان عِظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى وعظيم لطفِه سبحانه به ﷺ. والحكمةُ في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ: إظهارُ شرف النبي ﷺ، وأنه بالمحلِّ الأعلى، فيُسترضَى ويُكرَم بما يُرضيه.

* * *

(١٣) غضب النبي ﷺ في الحق

(١٠٥) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ الله، إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِالله أَنَا». [البخاري: ٢٠].

● «إذا أمَرَهم، أمَرَهم من الأعمال بما يُطيقون» أي: كان إذا أمرهم بما يَسهُل عليهم دونَ ما يَشُق؛ خشيةَ أن يَعجِزوا عن الدوام عليه، وعَمِل هو بنظير ما يأمُرهم به من التخفيف- طلبوا منه التكليف بما يَشُق؛ لاعتقادهم احتياجَهم إلى المبالغة في العمل لرفع الدرجات دونه، فيقولون : «لسنا كهيئتك»، فيغضب ﷺ من جهة أن حصول الدرجات له لا يوجِب تقصيرَه في العمل، بل يوجب الازديادَ شكرًا للمُنعم الوهاب.

«حتى يُعرَف الغضبُ في وجهِه»: كان ﷺ لا يَغضب لنفسه، وإنما كان يغضب لله، فيشتد به ذلك الغضب حتى يُرى أثرُه من الحُمرة ونحوها في وجهه الكريم.

* * *

(١٠٦) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما : أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ المَاءَ يَمُرُّ،

فَأَبى عَلَيْهِ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ! فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ». فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَحْسَبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥]. [البخاري: ٢٣٦٠].

* «شِرَاج الحَرَّة»: الشِّراج: جمع «شَرْج»، وهو مَسِيل الماء، والحَرة: موضع معروف بالمدينة. وكان بالمدينة واديان يسيلانِ بماء المطر فيتنافس الناسُ فيه، فقضى رسول الله ﷺ للأعلى فالأعلى.

«سرِّح الماء»: أرسِلْه. وإنما قال له ذلك لأن الماء كان يمرُّ بأرض الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه قبل أرض الأنصاري، فيحبِسه لإكمال سقيِ أرضه ثم يُرسِله إلى أرض جارِه، فالتَمَس منه الأنصاريُّ تعجيلَ ذلك فامتَنع.

«أنْ كان ابنَ عمَّتِك»: حكمتَ له بالتقديم لأنه ابنُ عمَّتك. وأم الزبير هي صَفِية بنتُ عبدِ المطَّلِب رضي الله عنها. وإنما قال له النبي ﷺ ذلك؛ لأن أرض الزبير أعلى من أرض الأنصاري.

«فتلوَّن وجهُ رسولِ الله ﷺ»: تغيَّر من الغضب لانتهاك حُرمة النبوة.

«الجَدْر»: الجِدار، وقيل: المراد به: ما رُفع حول المزرعة كالجدار، وقيل: أصول الشجر. وإنما أمَرَه ﷺ أولًا بالمسامحة والإيثار، بأن يسقيَ شيئًا يسيرًا ثم يُرسله إلى جارِه، فلما قال الأنصاري ما قال وجَهِل موضعَ حقِّه، أمَر ﷺ الزبيرَ بأن يأخذَ تمام حقِّه ويستوفِيَه؛ فإنه أصلح له وأبلغ في زجرِ خَصمه.

(١٠٧) عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ حُلَّةُ سِيَرَاءَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَيَّ فَلَبِسْتُهَا، فَعَرَفْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ بِهَا إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا، إِنَّمَا بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ لِتُشَقِّقَهَا خُمُرًا بَيْنَ النِّسَاءِ». [مسلم: ٢٠٧١].

❁ «حُلَّة سِيَرَاءَ»: هي ثوبٌ يُخالِطه حَرير، وقيل: حرير مَحض.

«خُمُرًا»: جمع «خِمَار»، وهو ما تغطِّي به المرأة رأسَها.

قيل: المراد بالنساء هنا: فاطمةُ بنت رسول ﷺ زوجُ عليٍّ، وفاطمةُ بنت أسد أمُّه، وفاطمةُ بنت حمزة ابنةُ عمِّه.

***

(١٠٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟! فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي؟ فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الله؛ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». [البخاري: ٣٤١٥].

❁ «شيئًا كَرِهه»: ثمنًا بَخسًا.

«ولا أقولُ: إن أحدًا أفضلُ من يونُسَ بن مَتَّى»: قيل: يَحتمِل وجهين: أحدُهما: أنه ﷺ قال هذا قبل أن يَعلَم أنه أفضل من يونس ﷺ. والثاني: أنه ﷺ قاله زجرًا

عن أن يَتخيل أحدٌ من الجاهلين شيئًا مِن حطِّ مرتبة يونس عليه السلام من أجل ما جاء في القرآن الكريم من قصَّتِه.

***

(١٠٩) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ أَوْ خَمْسٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضْبَانُ، فَقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ يَا رَسُولَ الله؟ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ! قَالَ: «أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ؟ وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ مَعِي حَتَّى أَشْتَرِيَهُ، ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا». [مسلم: ١٢١١].

● «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما سقتُ الهَدي»: لو عَلِمتُ في أول الحال ما علمتُ آخرًا من جواز العمرة في أشهر الحج، أو لو عَنَّ لي هذا الرأيُ الذي رأيتُه أخيرًا وأمرتُهم به في أول أمري- لَمَا سُقتُ الهَديَ[1] معي. فإنه إذا فَعل ذلك لا يَحِلُّ حتى يَنحَرَ، ولا يَنحَرُ إلا يومَ النَّحر، فلا يصحُّ له فسخُ الحج بعُمرة، ومن لم يكن معه هَدي فلا يَلتزِم هذا ويجوز له فسخُ الحج إلى العمرة، ويبقى متحلِّلًا إلى يوم التروية وهو يوم مِنًى، فيُهِلُّ حينئذ بالحج ويُحرم حين ذلك. وكان يَشُقُّ على أصحابه أن يَحِلُّوا وهو مُحرِم، ولم يُعجبهم أن يَرغَبوا بأنفسهم عن نفسه ويتركوا الاقتداءَ به، أو ظنوا أن الأمرَ للإباحة لا للوجوب، ولكنهم استجابوا لله ولرسوله وتمتَّعوا بالعمرة إلى الحج[2].

---

(١) الهَدي: ما يُهدَى إلى الحَرم من الإبل والبقر والغنم.

(٢) تَمتَّع بالعمرة إلى الحج: أقام معتمِرًا في الحَرم حتى أدى الحج فضَمَّ العمرة إلى الحج. وسُمي متمتعًا لتمتعه بعد تمام عمرته بالنساء والطِّيب وغيرهما مما لا يجوز للمُحرِم، ولترفُّهه بسقوط أحد السَّفَرين.

أما غضبُه ﷺ فلانتهاك حُرمة الشرع، وتردُّدِهم في قَبول حُكمه، وقد قال اللهُ تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]؛ فغضب ﷺ لما ذُكر من انتهاك حُرمة الشرع، والحزنِ عليهم في نقص إيمانهم بتوقُّفهم وتردُّدهم.

وفيه: حُجة لمن يقول بتفضيل التمتع؛ لأنه ﷺ لا يتمنَّى إلا الأفضل، ولا يتأسَّف إلا عليه.

* * *

(١١٠) قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدِي رَجُلٌ قَاعِدٌ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، قَالَتْ: فَقَالَ: «انْظُرْنَ إِخْوَتَكُنَّ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ». [مسلم: ١٤٥٥].

● «انظُرن إخوتَكن»: تفكَّرن واعرِفن من إخوانُكن من الرَّضاعة؛ خشية أن يكون رَضاعة ذلك الشخص كانت في حالة الكِبَر.

«فإنما الرضاعةُ من المجاعة» أي: الرضاعة التي تقع بها الحرمةُ وتَحِل بها الخَلوة ما كان في الصِّغَر والرضيعُ طفل يقوِّيه اللبن ويَسُد جُوعَه؛ لأن معدته ضعيفة يكفيها اللبنُ، ويَنبُت لحمُه بذلك، فيصير كجزء من المرضِعة، فيكون كسائر أولادها، فأما ما كان من الرَّضاع بعد ذلك في الحال التي لا يَسُد جوعَه اللبنُ ولا يُشبِعه إلا الخبزُ واللحم ونحوُهما فلا حُرمة له.

قيل: والواجب على النساء ألا يُرضِعن كل صبيٍّ من غير ضرورة، وإذا أرضعن فليَحفَظن ذلك وليَشهَرنه وليَكتُبنه احتياطًا.

* * *

(١١١) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ»، قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ»، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ»، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا نَتُوبُ إِلَى الله ﷻ. [البخاري: ٩٢].

❁ «أشياء كَرِهها»: إنما كَره ذلك ﷺ لأنه ربما كان سببًا لتحريم شيء على المسلمين فتَلحَقهم به المشقة، أو ربما كان في الجواب ما يَكره السائلُ ويَسُوءُه، أو ربما ألحُّوا عليه ﷺ وألحقوا به المشقة والأذى فيكونُ ذلك سببًا لهلاكهم. وهذا في الأشياء التي لا ضرورة ولا حاجة إليها، أو لا يتعلق بها تكليفٌ ونحوُه، وفي غير ذلك لا تُتَصور الكراهة؛ لأن السؤال حينئذ إما واجب أو مندوب؛ لقوله تعالى:
﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣].

«مَن أبي»: سأله عن ذلك لأنه كان يُنسَب إلى غير أبيه إذا خاصم أحدًا، فنسبه ﷺ إلى أبيه، ومعرفة رسول الله ﷺ أنه ابنه إما بالوحي وهو الظاهر، أو بحكم الفِرَاسة، أو بالقيافة[١]، أو بالاستِلحاق[٢].

«إنَّا نتوبُ إلى الله ﷻ»: من الأسئلة المكروهة مما لا يرضاه رسول الله ﷺ، إنما قال ذلك عُمَر ؓ لأنه لما رأى حِرصَهم وتَعدِّيَهم، خَشِي أن يكون ذلك كالتعنت له ﷺ والشكِّ في أمره.

---

(١) القِيافة: معرفة شَبَه الرجل بأخيه وأبيه.

(٢) استَلحَق فلانًا: ادَّعاه ونَسَبه إلى نفسه.

(١١٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ». [مسلم: ٢٢٦٦].

● «هَجَّرتُ»: أتيت في الهاجرة، أي: الظَّهيرة.

«اختَلَفا في آية»: تنازَعا واختَصَما في معنى آية، ويُحتمل أن يكون اختلافُهما في لفظها، أي: اختلافُ قراءة.

«إنما هَلَك من كان قبلكم»: مِن اليهود والنصارى.

«باختلافِهم في الكتاب»: المُنزل على نبيِّهم، بأن قال كلُّ واحد منهم ما شاء من تِلقاء نفسِه.

***

(١٤) حياء النبي ﷺ

(١١٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ». [البخاري: ٦١٠٢].

* «خِدْرها»: سِتْرها. ويقال: الخدر: سِتر يُجعَل للبِكر في جَنب البيت.

«شيئًا يَكرَهه»: من جهة الطَّبع، أو من طريق الشَّرع.

«عَرَفناه في وجهِه»: من أثر التغير. ومعناه: أنه ﷺ لم يتكلم بالشيء الذي يَكرَه؛ لحيائه، بل يتغير وجهُه فنَفهم كراهيتَه.

ومحَل وجود الحياء منه ﷺ في غير حُدود الله.

وفيه: فضيلة الحياء وأنه محثوث عليه، ما لم ينتهِ إلى الضَّعف والانكسار.

* * *

(١١٤) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَـمَّا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ زَيْنَبَ أَهْدَتْ لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا فِي تَوْرٍ مِنْ حِجَارَةٍ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ»، فَدَعَوْتُ لَهُ مَنْ لَقِيتُ، فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، وَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى الطَّعَامِ فَدَعَا فِيهِ وَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، وَلَمْ أَدَعْ أَحَدًا لَقِيتُهُ إِلَّا دَعَوْتُهُ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَخَرَجُوا، وَبَقِيَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَطَالُوا عَلَيْهِ

الْحَدِيثَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَحْيِي مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ شَيْئًا، فَخَرَجَ وَتَرَكَهُمْ فِي الْبَيْتِ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: غَيْرَ مُتَحَيِّنِينَ طَعَامًا ﴿ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. [مسلم: ١٤٢٨].

● «حَيْسًا»: الحَيس: تمرٌ يُنزَع نَوَاه ويُدَق مع لَبن محمَّض ويُعجنان بالسَّمن.

«تَور»: إناء صغير من نُحاس أو حجارة.

* * *

(١١٥) عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ المَحِيضِ؟ قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَوَضَّئِي ثَلَاثًا»، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَحْيَا فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ. أَوْ قَالَ: «تَوَضَّئِي بِهَا». فَأَخَذْتُهَا فَجَذَبْتُهَا فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ ﷺ. [البخاري: ٣١٥].

● «فِرصة ممسَّكة»: قطعة من قطن أو صوف مطيَّبة بالمِسك.

«فتوضَّئي»: تنظَّفي وتطهَّري.

وسببُ استحياء النبيِّ ﷺ أن المرأةَ سألَتْه عن كيفية التطهُّر؛ مع أنه ظاهر لا يحتاج إلى تصريح.

وفيه: أنه ليس على المرأة عار أن تسأل عن أمورها وما تَستبين به إذا كان من أمر دينها. وأن العالِم يجيب بالتعريض في الأمور المستورة.

* * *

(١١٦) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ

لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَهُ عَلَى مَنْكِبِكَ دُونَ الْـحِجَارَةِ، قَالَ: فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْـهِ، قَـالَ: فَـمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عُرْيَانًا». [مسلم: ٣٤٠].

● «ينقُل معهم الحجارةَ»: لبناء الكعبة. قيل: إن السيل كان يأتي فيُصيب الكعبة فيتساقط من بنائها، فأرادت قريش رفعَها وتسقيفَها، وكان ذلك قبل مَبعثه ﷺ.

«فسقط مغشيًّا عليه»: قيل: من شدة حيائه ﷺ من تَعرِّيه؛ فإنه كان مجبولًا على أجمَلِ الأخلاق وأكمَلِها منذ نشأ، ومن أعظَمِها شدة الحياء. وقيل: بل كان لأمر شاهَدَه، أو لنداء سمعه ينهاه عن التَّعرِّي.

* * *



(١٥) صلة النبي ﷺ للرحم

(١١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَـمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَـةُ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دَعَا رَسُولُ الله ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا». [مسلم: ٢٠٤].

● «سأبُلُّها ببِلَالها»: البِلال: كل ما بلَّ الحلقَ من ماء أو لبن أو غيره. شُبِّهت قطيعةُ الرحم بالحرارة ووصلُها بالماء الذي يُطفئ ببردِه الحرارة. وقيل: العرب يُطلِقون النَّداوة على الصلة كما يُطلَق اليُبس على القطيعة؛ لأنهم لما رأَوا أن بعض الأشياء يتصل بالنداوة ويحصل بينها التجافي والتفرق باليُبس، استعاروا البَلَل لمعنى الوصل واليُبس لمعنى القطيعة. والمعنى: سأصِلُكم في الدنيا ولا أُغني عنكم من الله شيئًا.

وقيل: في قوله ﷺ: «ببِلَالِها» مبالَغةٌ بديعة، وهي مِثلُ قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة: ١]، أي: زلزالَها الشديد الذي لا شيء فوقه، فالمعنى: سأبلُّها بما اشتهر وشاع من وجوه الصلة والبر بحيث لا أترك منه شيئًا.

***

(١١٨) عَـنْ عَائِـشَةَ قَالَـتْ: لَـمَّا نَزَلَـتْ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّـدٍ، يَـا صَـفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ». [مسلم: ٢٠٥].

● «لا أملك لكم من الله شيئًا»: من المُلك والقدرة ودفع الضَّر وجلب المَنفعة.

وهذا الإنذار ترهيب لهم من الاتّكال عليه ﷺ، وترغيب لهم في الاجتهاد في أمـر المَعاد.

* * *

(١١٩) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ[١]: «فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَالله مَا يُخْزِيـكَ اللهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»[٢]. [البخاري: ٤].

* * *

(١٢٠) عَنْ عَبْدِالمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْـنِ الحَـارِثِ قَـالَ: اجْتَمَـعَ رَبِيعَـةُ بْـنُ الحَـارِثِ وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَا: وَالله لَوْ بَعَثْنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ- قَـالَا لِي وَلِلْفَـضْلِ بْـنِ عَبَّاسٍ- إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَكَلَّمَاهُ فَأَمَّرَهُمَا عَلَى هَذِهِ الصَّدَقَاتِ، فَأَدَّيَا مَا يُؤَدِّي النَّـاسُ وَأَصَابَا مِمَّا يُصِيبُ النَّاسُ. قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمَا فِي ذَلِكَ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا، فَذَكَرَا لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: لَا تَفْعَلَا، فَوَالله مَا هُوَ بِفَاعِلٍ، فَانْتَحَـاهُ رَبِيعَـةُ

---

(١) في حديثِ بَدْء الوَحي.

(٢) تقدم في «حسن أخلاق النبي ﷺ»، حديث (١٦).

بْنُ الْحَارِثِ فَقَالَ: وَاللهِ مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا نَفَاسَةً مِنْكَ عَلَيْنَا، فَوَاللهِ لَقَدْ نِلْتَ صِهْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا نَفِسْنَاهُ عَلَيْكَ، قَالَ عَلِيٌّ: أَرْسِلُوهُمَا، فَانْطَلَقَا، وَاضْطَجَعَ عَلِيٌّ. قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ سَبَقْنَاهُ إِلَى الْحُجْرَةِ فَقُمْنَا عِنْدَهَا حَتَّى جَاءَ، فَأَخَذَ بِآذَانِنَا ثُمَّ قَالَ: «أَخْرِجَا مَا تُصَرِّرَانِ»، ثُمَّ دَخَلَ وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ. قَالَ: فَتَوَاكَلْنَا الْكَلَامَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَحَدُنَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ وَأَوْصَلُ النَّاسِ، وَقَدْ بَلَغْنَا النِّكَاحَ فَجِئْنَا لِتُؤَمِّرَنَا عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ، فَنُؤَدِّيَ إِلَيْكَ كَمَا يُؤَدِّي النَّاسُ وَنُصِيبَ كَمَا يُصِيبُونَ. قَالَ: فَسَكَتَ طَوِيلًا حَتَّى أَرَدْنَا أَنْ نُكَلِّمَهُ. قَالَ: وَجَعَلَتْ زَيْنَبُ تُلْمِعُ عَلَيْنَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ أَنْ لَا تُكَلِّمَاهُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ؛ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، ادْعُوَا لِي مَحْمِيَةَ - وَكَانَ عَلَى الْخُمُسِ - وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ». قَالَ فَجَاءَاهُ فَقَالَ لِمَحْمِيَةَ: «أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ» لِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَأَنْكَحَهُ، وَقَالَ لِنَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ: «أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ» لِي، فَأَنْكَحَنِي، وَقَالَ لِمَحْمِيَةَ: «أَصْدِقْ عَنْهُمَا مِنَ الْخُمُسِ كَذَا وَكَذَا». [مسلم: ١٠٧٢].

◆ «فانتَحاه»: عَرَض له وقَصَده.

«نَفَاسةً»: حَسَدًا.

«تصرِّران»: تجمعان في صدوركما من الكلام.

«فتواكَلْنا الكلامَ»: وكَلَ كلٌّ منا الكلامَ إلى صاحبه يريد أن يبتدئ الكلامَ صاحبُه دونَه؛ لموضع الحياء.

«تُلمِع»: تشير بثوبها أو بيدها.

«أوساخ الناس» أي: تطهير لأموالهم ونفوسهم.

«الخُمس»: خُمس الغنيمة، وهي كلُّ مالٍ أُخذ من الكفَّار بالقتال. وكانت الغنيمة تُقسَّم خمسةَ أخماس: أربعة منها للغانمين، والخامس لمن ذُكروا في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنفال: ٤١].

«أصدِق عنهما من الخُمس»: يُحتمَل أن النبيَّ ﷺ أراد من سهم ذَوي القُربى من الخُمس؛ لأنهما من ذوي القربى، ويُحتمل أنه أراد من سهمه هو ﷺ من الخُمس.

* * *

(١٢١) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله فِيهِ الْـهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ الله وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». [مسلم: ٢٤٠٨].

● «أذكِّركم اللهَ في أهل بيتي» أي: أنبِّهكم حقَّ الله في حفظهم ومراعاتهم واحترامهم وإكرامهم، وكرَّره ثلاثًا للتأكيد وإفادة المبالغة.

قيل: جَعل الله تعالى أهلَ بيته ﷺ مساوين له في خمسة أشياءَ: في المحبة، وتحريم الصدقة، والطهارة، والسلام، والصلاة، ولم يَقَع ذلك لغيرهم.

*

(١٦) أمانة النبي ﷺ

(١٢٢) عَنْ أَبِي سُفْيَانَ: «أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ. قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ». [البخاري: ٢٦٨١].

● كان ﷺ آمَن الناس وأعدلَ الناس وأعفَّ الناس منذ كان، اعترف له بذلك أعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته: الأمينَ؛ بما جَمَع الله فيه من الأخلاق الصالحة، وقال أكثر المفسرين في قوله تعالى: ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [التكوير: ٢١]: إنه محمد ﷺ.

***

(١٢٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟!». [البخاري: ٤٣٥١].

● «بذُهَيبة»: قطعة من ذهب.

«أَدِيم مَقروظ»: جلد مدبوغ بالقَرَظ، وهو شجر يُدبغ بوَرقه، ولونُه إلى الصُّفرة.

«تُحصَّل»: تُخلَّص.

«أمينُ مَن في السماء»: يُحتَمل أن يريد به اللهَ تعـالى، أو يريـد الملائكـة؛ لأنـه أمـين عندهم معروف بالأمانة.

* * *

(١٧) عدل النبي ﷺ

(١٢٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ يَقْسِمُ غَنِيمَةً بِالْجِعْرَانَةِ إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: اعْدِلْ! فَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ شَقِيتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ». [البخاري: ٣١٣٨].

◆ «بالجِعرانة»: موضع بين مكة والطائف.

«شقيتُ إن لم أعدِل»: معناه ظاهر، ولا محذور فيه، والشرط لا يَستلزم الوقوع؛ لأنه ﷺ ليس ممن لا يَعدل حتى يحصُل له الشقاء، بل هو أعدل الناس فلا يَشقَى. وحُكِيَ: «شقيتَ» بفتحِ التاء على الخطاب، والمعنى على هذا: لقد ضللتَ أنت أيها التابع حيث تقتدي بمن لا يَعدِل، أو حيث تعتقد ذلك في نبيك فتقولُ هذا القولَ الذي لا يَصدر عن مؤمن.

* * *

(١٢٥) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْتَجِمُ وَلَمْ يَكُنْ يَظْلِمُ أَحَدًا أَجْرَهُ». [البخاري: ٢٢٨٠].

◆ «ولم يكن يظلم أحدًا أجره»أي: ممن يَستعمله ﷺ في عمل. والمراد: أنه يُوفي أجرَ كل أجير، ولم يكن يَنقُص من أجر أحد ولا يردُّه بغير أجر.

(١٢٦) عَنْ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِـنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَالله إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله! فَقُلْتُ: وَالله لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُـهُ فَأَخْبَرْتُـهُ فَقَـالَ: «فَمَـنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ؟! رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَـذَا فَـصَبَرَ»[١].

[البخاري: ٣١٥٠].

* * *

---

(١) تقدم في «حلم النبي ﷺ وعفوه»، حديث (٣٥).

(١٨) صدق النبي ﷺ

(١٢٧) عَنْ أَبِي سُفْيَانَ: «أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ. قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ»(١). [البخاري: ٢٦٨١].

* * *

(١٢٨) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا»(٢). [البخاري: ٢٨٢١].

* * *

(١٢٩) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا، قَالَ: فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ أَبِي صَفْوَانَ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّأْمِ فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ: انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتَ فَطُفْتَ، فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ؟ فَقَالَ

---

(١) تقدم في «أمانة النبي ﷺ»، حديث (١٢٢).

(٢) تقدم في «حلم النبي ﷺ وعفوه»، حديث (٣٩).

سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ آمِنًا وَقَدْ آوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؟! فَقَالَ: نَعَمْ، فَتَلَاحَيَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ؛ فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي، ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: وَاللهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لَأَقْطَعَنَّ مَتْجَرَكَ بِالشَّأْمِ. قَالَ: فَجَعَلَ أُمَيَّةُ يَقُولُ لِسَعْدٍ: لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ، وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ فَقَالَ: دَعْنَا عَنْكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ، قَالَ: إِيَّايَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ! فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّه سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ! قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ وَجَاءَ الصَّرِيخُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لَا يَخْرُجَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِي، فَسِرْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَارَ مَعَهُمْ، فَقَتَلَهُ اللهُ». [البخاري: ٣٦٣٢].

● «فتلاحَيَا»: تخاصَمَا وتنازَعَا. وقيل: تَسابَّا.

«والله ما يكذِب محمدٌ»: لأنه ﷺ كان موصوفًا عندهم بالصدق والأمانة، قال تعالى:

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

«الصَّريخ»: المستغِيث، وهو ضَمضَم بن عمرو الغِفَاري الذي صاح في قريشٍ يُعلِمُهم بخروج النبيِّ ﷺ وأصحابِه إلى قافلة أبي سفيان.

«يَزعُم أنه قاتلُك»: يقول ويُخبِر بذلك. وفي رواية: «يقول: إنهم قاتِلوك»[1].

«فقتَله الله»: بأيدي أصحابِ النبيِّ ﷺ في بدر.

* * *

---

(١)البخاري (٣٩٥٠).

(١٣٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: لَـمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ..» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ! أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ ﴾ [المسد: ١ - ٢]. [البخاري: ٤٧٧٠].

● «أرأيتكم»: أخبروني.

«بين يدَيْ عذابٍ شديد» أي: قبلَ نزول عذاب عظيم وعقاب أليم. والمعنى: أنكم إن لم تؤمنوا بي ينزل عليكم عذابٌ قريب.

«تبًّا لك سائرَ اليوم»: خسرانًا وهلاكًا لك في باقي اليوم، أو باقي الأيام. لعَنَ اللهُ قائلَها أبدَ الدَّهر!

* * *

(١٣١) عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ[(١)]: «قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا؛ وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ». [مسلم: ١٦٠].

● «وتَصدُق الحديثَ»: تتكلم بصِدق الكلام، وهو من أشرف الخِصال[(٢)].

---

(١) في حديثِ بَدْء الوَحي.

(٢) وتقدم ذِكر بقية معاني الألفاظ في «حسن أخلاق النبي ﷺ»، حديث (١٦).

(١٣٢) عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟» فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا». قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الله شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ؛ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ». [مسلم: ٢٣٦١].

● قد يَعتقد ﷺ في أمور الدنيا الشيء على وجهٍ ويَظهَر خلافُه، أو يكون منه على شكٍّ أو ظنٍّ، بخلاف أمور الشرع، وهذا فيما قاله من قِبَل نفسه في أمور الدنيا وظَنِّه مِن أحوالها، لا ما قاله من قِبَل نفسه واجتهادِه في شرعٍ شَرَعه وسُنة سَنَّها. ورأيُه ﷺ في أمور المعايش وظنُّه كغيره من البشر، فلا يَمتنِع وقوعُ مثل هذا، ولا نقصَ في ذلك، وسببُه تعلُّق همَّته ﷺ بالآخرة واشتغاله بمعارفها، وقد ذَمَّ اللهُ تعالى قومًا بقوله:

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم: ٧].

«فإنِّي لن أكذِبَ على الله عَزَّ وَجَلَّ»: فالنبيُّ ﷺ صادقٌ معصومٌ فيما يبلِّغه عن الله تعالى.

***

(١٣٣) عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَالْـمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «أَحَبُّ الْـحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا الْـمَالَ». [البخاري: ٢٣٠٨].

● «أحَبُّ الحديث إليّ أصدَقُه»: فالصدقُ يهدي إلى الخير والعمل الصالح الخالص من كل مذموم، وأما الكذب فيُوصل إلى الميل عن الحق والانبعاث في المعاصي.

وفيه: الحث على تحرِّي الصدق والاعتناءِ به.

* * *

(١٩) رحمة النبي ﷺ

(١٣٤) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ وَلِأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا». [البخاري: ٥١٦].

● فيه: شفقتُه ﷺ على الأطفال ورحمته بهم، وإكرامُه لهم جبرًا لهم ولوالديهم. ودفعُ ما كانت العرب تألَفه من كراهة البنات وحملِهن، فخالفهم ﷺ في ذلك حتى في الصلاة؛ للمبالغة في رَدعِهم، والبيانُ بالفعل قد يكون أقوى من القول.

* * *

(١٣٥) عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا قَالَ: «ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ». [البخاري: ٦٢٨].

● «رحيمًا»: ذا رحمةٍ وشفقةٍ ورقَّةِ قلب.

* * *

(١٣٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي؛ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ». [البخاري: ٧٠٩].

● «أريد إطالتَها»: إطالة نسبية، أو على خلاف عادتي.

«فأتجوَّز»: أختصِر وأخفِّف وأترخَّص بما تجُوز به الصلاة من الاقتصار وترك تطويل القراءة والأذكار.

«وَجْد أمِّه»: الوَجْد يُطلَق على الحزن وعلى الحب أيضًا، وكلاهما سائغ هنا، والحزن أظهر، أي: من حُزنها واشتغالِ قلبها به.

وفيه: دليل على الرفقِ بالمأمومين وسائر الأتباع ومراعاةِ مصلحتهم، وألا يُدخِل عليهم من غير ضرورة ما يَشُق عليهم وإن كان يسيرًا.

***

(١٣٧) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ، وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا». [البخاري: ١١٢٨].

● «ما سبَّح سُبْحة الضُّحى»: ما صلَّى صلاةَ الضحى. وقيل: معناه: أنه ﷺ لم يداوِم عليها، وكان يصلِّيها في بعض الأوقات ويتركُها في بعضها؛ خشيةَ أن تُفرَض على المؤمنين، وكان ﷺ بهم رحيمًا. فيُحمَل الحديثُ على نفي المداومة عليها لا نفي صلاتِها أصلًا؛ لأنه قد وَرد عن عائشة رضي الله عنها وغيرِها أن النبي ﷺ صلَّاها.

(١٣٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَقَدْ وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ». [البخاري: ١٦٠٢].

● «وهَنَهم»: أضعفَهم.

«يَرمُلوا»: يُسرِعوا في المشي؛ ليَرَى المشركون قُوَّتهم.

«الإبقاءُ عليهم»: الرِّفق بهم والشفقةُ عليهم.

وفيه: أن من السُّنة إظهارَ القوةُ للعدو في الأجسام والعُدة والسلاح، ومفارقة الهدوء والوقار في ذلك.

* * *

(١٣٩) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ الله، مَا هَذَا؟! قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»[1]. [البخاري: ٧٣٧٧].

* * *

---

(١) تقدم في «بكاء النبي ﷺ ورأفته»، حديث (٩٩).

(١٤٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا». [مسلم: ١٩٩].

● «لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابة» أي: كل نبي له دعوة متيقَّنة الإجابة وهو على يقين من إجابتها، وأما باقي دعواتهم فهم على طمع من إجابتها، وبعضها يجاب وبعضها لا يجاب. وقيل: يُحتمل أن يكون المراد: لكل نبي دعوةٌ لأمته.

«اختبأتُ»: ادَّخرتُ.

وفيه: بيانُ كمال شفقةِ النبي ﷺ على أمته، ورأفتِه ورحمته بهم، واعتنائِه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخَّر ﷺ دعوتَه لأمته إلى أهمِّ أوقات حاجاتهم. وبيانُ فضل نبيِّنا ﷺ على سائر الأنبياء؛ إذ آثَر أمتَه على نفسِه وأهلِ بيته بدعوته المجابة، ولم يجعلها أيضًا دعاءً عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممن تقدَّم.

***

(١٤١) عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ وَلَا تُزْرِمُوهُ»، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ. [مسلم: ٢٨٤].

● «لا تُزْرِموه»: لا تقطَعوا عليه بَولَه. وكان ﷺ رحيمًا متفضِّلًا رقيقًا.

***

(١٤٢) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفٌ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفٌ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي؟ وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ إِعْظَامًا لِذَلِكَ: «أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفٍ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمْآنُ فَاسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ». فَفُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ. [مسلم: ١٦٤١].

◆ «العَضْباء»: اسم ناقة، هو عَلَم لها منقولٌ من قولهم: ناقةٌ عَضْباء، أي: مشقوقةُ الأذُن، ولم تكن مشقوقةَ الأذُن.

«الوَثاق»: القَيد.

«سابِقة الحاجِّ»: التي تسبق موكبَ الحَجيج؛ فإنها كانت لا تُسبَق.

«بجَرِيرة»: بجِناية.

«لو قلتَها وأنت تملِك أمرَك أفلحتَ كلَّ الفلاح»: لو قلتَ كلمة الإسلام قبل الأسر حين كنتَ مالكَ أمرِك أفلحتَ كلَّ الفلاح؛ لأنه لا يجوز أسرُك لو أسلمتَ قبل الأسر، فكنتَ فزتَ بالإسلام وبالسلامة من الأسر ومن اغتنام مالِك، وأما إذا أسلمتَ بعد الأسر فيسقُط الخيار في قتلِك ويبقى الخيار بين الاسترقاق والمنِّ والفداء.

* * *

(١٤٣) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا:

أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالُوا: لَكِنَّا وَاللهِ مَا نُقَبِّلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ؟!». [مسلم: ٢٣١٧].

❁ «وأملِك إن كان اللهُ نزعَ منكم الرحمةَ؟!» أي: لا أملك لكم دفعَ نـزعِ الله مـن قلوبكم الرحمةَ، أو لا أملك لكم أن أضَع فيها ما نَزَعه الله منها من الرحمة.

❊ ❊ ❊

(١٤٤) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «أُمَّ قَوْمَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجِدُ فِي نَفْسِي شَيْئًا، قَالَ: «ادْنُهْ»، فَجَلَّسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِي صَدْرِي بَيْنَ ثَدْيَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «تَحَوَّلْ»، فَوَضَعَهَا فِي ظَهْرِي بَيْنَ كَتِفَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «أُمَّ قَوْمَكَ، فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ». [مسلم: ٤٦٨].

❁ «أجِدُ في نفسي شيئًا»: يُحتمل أنه أراد الخوف من حصول شيء من الكِبْر والإعجاب له بتقدُّمه على الناس، فأذهبه الله تعالى ببركة كفِّ رسول الله ﷺ ودعائه. ويُحتمل أنه أراد الوسوسةَ في الصلاة، فإنه كان مُوَسوِسًا، ولا يصلح للإمامة المُوَسوِس.

«ادْنُهْ»: أمرٌ من «الدُّنوِّ»، وهو بهاء السَّكْت، أي: اقرُبْ.

❊ ❊ ❊

(١٤٥) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً،

فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْـمُقَفِّي، وَالْـحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَـةِ». [مسلم: ٢٣٥٥].

* «والمقفِّي»: المتَّبع من سبقني من الأنبياء، يعني: أنه آخرُهم الآتي على أثَرهم لا نبيَّ بعده. وقيل: المتَّبع لآثارهم؛ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

«ونبيُّ التوبة»: لأنه توَّاب كثير الرجوع إلى الله تعالى. أو لأنه قَبِل من أمتـه التوبـةَ بمجرَّد الاستغفار، بخلاف الأمم السالفة، قال تعـالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء: ٦٤].

«ونبيُّ الرحمة»: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. والرحمة: العطف والرأفة والإشفاق؛ لأنه بالمؤمنين رءوف رحيم؛ ولذا كانـت أمتُه أمةً مرحومة؛ لأن النبي ﷺ ما يَرحَم إلا مَن رَحِمه الله.

* * *

(١٤٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ عَـلَى الْمُشْرِكِينَ، قَـالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»(١). [مسلم: ٢٥٩٩].

* * *

(١) تقدم في «حسن أخلاق النبي ﷺ»، حديث (٢٦).



(٢٠) شجاعة النبي ﷺ

(١٤٧) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا»(١). [البخاري: ٢٨٢١].

***

(١٤٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا»، قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ». قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ. [مسلم: ٢٣٠٧].

✸ «عُرْي»: ليس عليه سَرْج، وهو ما يوضَع على ظهر الدابَّة للرُّكوب.

«لم تُراعوا»: لا تَفزَعوا، وهي كلمة تقال عند تسكين الرَّوْع؛ تأنيسًا وإظهارًا

---

(١) تقدم في «حلم النبي ﷺ وعفوه»، حديث (٣٩).

للرفق بالمخاطَب.

«بحرًا»: واسع الجَري مِثل البَحر.

«يُبطَّأ»: يُعرَف بالبُطء والعجز وسوء السَّير. وانقلابه سريعًا بعد أن كان بطيئًا معجزةٌ للنبي ﷺ.

***

(١٤٩) عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ الله ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ الله ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ الله ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ. قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ الله ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ»، فَقَالَ عَبَّاسٌ - وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَالله لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ. قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ». قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ

الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ»، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا. [مسلم: ١٧٧٥].

❖ «على بغلةٍ له»: قال العلماء: ركوبُه ﷺ البغلةَ في مَوطِنِ الحرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضًا يكون مُعتَمَدًا يَرجِع المسلمون إليه وتطمئنُّ قلوبهم به وبمكانه، وإنما فَعَل هذا عمدًا، وإلا فقد كانت له ﷺ أفراسٌ معروفة.

«يَركُض بغلتَه»: يحرِّكها برِجله.

«بِركاب»: هو ما توضَع فيه الرِّجل من السَّرْج، وهما رِكابان.

«صَيِّتًا»: قوي الصوت.

«نادِ أصحابَ السَّمُرة؟»: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرِّضْوان.

«عَطْفَتهم»: رَجْعَتهم.

«عَطفة البَقر»: مَيلُها. قيل: وهذا دليل على أن فرارَهم لم يكن بعيدًا، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم، وإنما فَتَحه عليهم مَن في قلبه مرض مِن مُسلِمة أهل مكة بعد الفتح ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا. وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصباب هَوازِن عليهم دَفعةً واحدة ورشقِهم بالسهام، ولاختلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه وممن يتربص بالمسلمين الدوائر، وفيهم نساءٌ وصبيان خرجوا للغنيمة فتقدَّم إخفاؤهم، فلما رشَقُوهم بالنَّبْل ولَّوْا فانقلبت أُولاهم على أخراهم، إلى أن أنزَل الله تعالى سكينتَه على المؤمنين.

«كالمتطاوِل عليها إلى قتالِهم»: كالغالب القادر على سَوْقها. وقيل: كالذي يَمُد عنقَه لينظرَ إلى ما هو بعيد عنه مائلًا إلى قتالهم.

«هذا حينَ حِمي الوَطِيس» أي: هذا القتال حين اشتدَّت الحرب، وفيه معنى التعجب واستعظامُ الحرب. والوَطِيس: شدة التَّنُّور[1] أو التَّنُّور نفسُه، يُضرَب مَثلًا لشدة الحرب التي يُشبِه حَرُّها حَرَّه. وقيل: إن هذا مما ارتجَله رسول الله ﷺ من ألفاظ لم تُسمَع من العرب قَبله، وهو من فصيح الكلام، عبَّر به ﷺ عن اشتباك الحرب واحتدامها.

«حدَّهم كليلًا»: بأسَهم ضعيفًا.

«وأمرَهم مُدبِرًا»: وحالهم ذليلًا.

* * *

---

(١) الذي يُخبَز فيه.

(٢١) كلام النبي ﷺ وفصاحته

(١٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ».

[البخاري: ٢٩٧٧].

● «بجوامِع الكَلِم»: قيل: معناه: إيجازُ الكلام مع إشباع المعاني، فإنه ﷺ كان يتكلم بالكلمة الموجَزة لفظًا المتسِعة معنًى، أي: يكون اللفظ قليلًا والمعنى كثيرًا. وقيل: جوامع الكلم: القرآن؛ لأنه يقع فيه المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وكذلك يقع في الأحاديث النبوية الكثيرُ من ذلك؛ فكان كلامُه ﷺ فصيحًا جامعًا لا فُضولَ فيه ولا تقصير.

وإن الله تعالى لما وضع رسولَ الله ﷺ موضعَ البلاغ من وحيِه، ونَصَبه مَنصِبَ البيان لدِينه، اختار له من اللغات أعرَبَها، ومن الألسُن أفصحَها وأبيَنَها، ثم أمدَّه بجوامع الكَلم التي جعلها رِدْءًا لنبوته وعَلَمًا لرسالته؛ ليَنتظِمَ في القليل منها عِلمٌ كثير يَسهُل على السامعين حفظُه ولا يَئُودهم حَملُه.

وفيه: الحثُّ على استخراج تلك المعاني، وتبيينُ تلك الدقائق المودَعة فيها.

* * *

(١٥١) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟! جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يُسْمِعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أُسَبِّحُ فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ؛ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ». [مسلم: ٢٤٩٣].

● «أسبِّح»: أصلِّي نافِلةً، وهي السُّبْحة، وقيل: المراد بها هنا: صلاةُ الضُّحى.

«لردَدْتُ عليه»: لأنكرتُ عليه وبيَّنتُ له أن الترتيل في التحديث أَولى من السَّرد. وحُكي: «لرَدَّدْتُ عليه» بتشديد الدال الأولى، أي: ردَّدت الكلماتِ الحديثية وعَرَضتُها على أبي هريرة لأحفظَهن.

«لم يكن يسرُدُ الحديثَ كسَردِكم»: لم يكن يتابع الحديثَ استعجالًا بعضُه في أثَر بعضٍ؛ لئلا يَلتبس على المستمع، وإنما كان كلام رسول الله ﷺ فصلًا مُفهِمًا تَعِيه القلوب.

واعتُذِر عن أبي هريرة بأنه كان واسعَ الرواية كثيرَ المحفوظ، فكان لا يتمكَّن من المَهْل عند إرادة التحديث، كما قال بعض البلغاء: أريد أن أقتصرَ فتتزاحمُ القَوافِي على فِيَّ.

* * *

(١٥٢) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ». [البخاري: ٣٥٦٨].

● «لو عدَّه العادُّ لأحصاه»: لو استَقصَى كلماتِه أو مفرداتِه أو حروفَه لأطاق ذلك وبَلَغ آخرها. والمراد بذلك: المبالغة في الترتيل والتفهيم، فكان ﷺ يتكلم متمهِّلًا بكلام واضح مفهوم في غاية الظهور والبيان.

* * *

(١٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْكَلِمِ». [البخاري: ٦٩٩٨].

❁ «مَفاتيح الكَلِم»: هو ما يَسَّر الله لـه مـن البلاغـة والفـصاحة، والوصـولِ إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات التي استَغْلَقَت على غيره وتعذَّرت.

❁ ❁ ❁

(١٥٤) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُـولُ الله ﷺ وَمُعَـاذًا إِلَى الْـيَمَنِ فَقَالَ: «ادْعُوَا النَّاسَ، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَفْتِنَا فِي شَرَابَيْنِ كُنَّا نَصْنَعُهُمَا بِالْيَمَنِ: الْبِتْعُ وَهُوَ مِنَ الْعَسَلِ يُنْبَذُ حَتَّى يَـشْتَدَّ، وَالْـمِزْرُ وَهُوَ مِنَ الذُّرَةِ وَالشَّعِيرِ يُنْبَذُ حَتَّى يَشْتَدَّ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ بِخَوَاتِمِهِ، فَقَالَ: «أَنْهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ أَسْكَرَ عَنِ الصَّلَاةِ». [مسلم: ١٧٣٣].

❁ «بخواتِمه» أي: كأنه يَختِم على المعاني الكثيرة التي تضمَّنها اللفظُ اليـسير، فـلا يخرج منها شيءٌ عن طالبها ومستنبِطها؛ لعذوبة لفظه وفصاحة تأليفه.

❁ ❁ ❁

(١٥٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَطَـبَ احْمَـرَّتْ عَيْنَـاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُـولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْـحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الْـهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِـهِ، وَمَـنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ». [مسلم: ٨٦٧].

◆ «وعَلا صوتُه»: لإبلاغ وعظِه إلى آذانهم، وتعظيمِ ذلك الخبرِ في خواطرهم، وتأثيرِه فيهم.

«كأنَّه مُنذِرُ جيشٍ»: هو الذي يجيء مخبرًا للقوم بما قد دَهَمهم من عدوٍّ يريد الإغارة عليهم.

«صبَّحكم ومسَّاكم» أي: نزل بكم العدو صباحًا ومساءً، والمراد: سيَنزِل، وصيغة الماضي لتحقُّق الوقوع. والمعنى: قَرُب منكم العذاب إن لم تطيعوني.

«محدَثاتها»: ما لا أصلَ له في الدِّين مما أُحدِث بعده ﷺ.

«ضَيَاعًا»: عِيالًا، أي: أطفالًا وعيالًا ذوي ضَياع. وقيل: الضَّياع: كل ما هو بصَدد أن يَضِيعَ لو لم يَقُم بأمرِه أحَد.

وفيه: أنه يُستحَب للخطيب أن يفخِّم أمر الخُطبة، ويَرفعَ صوتَه، ويُجزِلَ كلامَه، ويكونَ مطابقًا لما يَتكلَّم فيه من ترغيبٍ أو ترهيب.

❊ ❊ ❊

(٢٢) غيرة النبي ﷺ

(١٥٦) عَنِ المُغِيرَةِ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفِحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ وَالله لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ الله حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ الله، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ الله، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ».

[البخاري: ٧٤١٦].

❁ «غيرَ مُصفِح»: غير ضاربٍ بصُفْح السيف وهو جانِبُه، بل أضربه بحَدِّه.

«واللهُ أغيَرُ مِني»: قيل: الغَيرة أصلها: المنع، والرجل غَيُور على أهله أي: يمنَعهم من التعلق بأجنبيٍّ بنظر أو حديث أو غيره، والغيرةُ صفةُ كمال، فأخبر ﷺ بأن سعدًا ؓ غَيُور، وأنه ﷺ أغيَرُ منه، وأن اللهَ تعالى أغيَرُ منه ﷺ، وأنه من أجل ذلك حرَّم الفواحش، فمعنى غيرة الله تعالى: الزجر عن الفواحش والتحريمُ لها والمنع منها؛ لأن الغَيُور هو الذي يَزجُر عمّا يَغار عليه، لكن الغيرة في حق الناس يقارنها تغيرُ حالِ الإنسان وانزعاجُه، وهذا مستحيل في غيرة الله تعالى.

❊❊❊

(١٥٧) قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدِي رَجُلٌ قَاعِدٌ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، قَالَتْ: فَقَالَ: «انْظُرْنَ إِخْوَتَكُنَّ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ»(١). [مسلم: ١٤٥٥].

* * *

---

(١) تقدم في «غضب النبي ﷺ في الحق»، حديث (١١٠).

(٢٣) وفاء النبي ﷺ بالعهد

(١٥٨) عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: لَـمَّا أُحْصِرَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْتِ صَالَحَهُ أَهْلُ مَكَّةَ عَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا فَيُقِيمَ بِهَا ثَلَاثًا، وَلَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلَاحِ: السَّيْفِ وَقِرَابِهِ، وَلَا يَخْرُجَ بِأَحَدٍ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهَا، وَلَا يَمْنَعَ أَحَدًا يَمْكُثُ بِهَا مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ. قَالَ لِعَلِيٍّ: «اكْتُبِ الشَّرْطَ بَيْنَنَا: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله»، فَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله تَابَعْنَاكَ؛ وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، فَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَمْحَاهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا وَالله لَا أَمْحَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَرِنِي مَكَانَهَا»، فَأَرَاهُ مَكَانَهَا، فَمَحَاهَا وَكَتَبَ: ابْنُ عَبْدِ الله. فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ قَالُوا لِعَلِيٍّ: هَذَا آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَرْطِ صَاحِبِكَ، فَأْمُرْهُ فَلْيَخْرُجْ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَخَرَجَ. [مسلم: ١٧٨٣].

❁ «وقِرابه»: جِرابه وغِمده. والمراد: أن تكون الأسلحة في أغمادها بلا تشهير كما في صورة القهر والغلبة، وكان من عادة العرب ألا يفارقَهم السلاح في السَّلْم والحرب. وقيل: المراد: أنهم لا يدخلون مكةَ كاشفي سلاحهم متأهبِّين للحرب. وإنما شرطوه ليكون أمارة للسَّلْم فلا يُظَن أنهم دخلوها قهرًا.

«فمَحَاها وكَتَب»: قيل: احتجَّ بهذا اللفظ بعضُ الناس على أن النبي ﷺ كَتَب ذلك بيده على ظاهر هذا اللفظ، وقال أصحاب هذا المذهب: إن الله تعالى أجرى ذلك على يده، إما بأن كَتَب ذلك القلمُ بيده وهو غيرُ عالم بما يكتب، أو أن الله تعالى علَّمه ذلك حينئذ حتى كَتَب، وجَعَل هذا زيادةً في معجزته، فإنه ﷺ كان أمِّيًّا، فكما علَّمه ما لم يَعلم من العِلم، وجعله يَقرأ ما لم يَقرأ، ويَتلو ما لم يكن يَتلو، كذلك علَّمه أن يَكتب ما لم يكن يَكتب، وخطَّ ما لم يكن يَخُط بعد النبوة، أو أجرَى ذلك على يده، وهذا لا يَقدَح في وصفه بالأمية.

وذهب الأكثرون إلى منع هذا كله، وقالوا: هذا الذي زعمه الذاهبون إلى القول الأول يُبطله وصفُ الله تعالى إيَّاه بالنبي الأمي ﷺ، وقولُه تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وأما قوله في هذا الحديث: «كَتَب» فمعناه: أَمَر بالكتابة. والله أعلم.

وقيل: وافقهم النبي ﷺ في إثبات كتابة «محمد بن عبد الله»، ومحا كتابةَ «رسول الله»؛ للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح، كما أنه لا مَفسدة في هذا، فقوله: «محمد بن عبد الله» هو أيضًا رسول الله ﷺ، وليس في ترك وصفِه ﷺ هنا بالرسالة ما يَنفيها، فلا مَفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المَفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يَحِل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك.

والمصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده الظاهرة، التي كانت عاقبتُها فتحَ مكة، وإسلامَ أهلها كلِّها، ودخولَ الناس في دين الله أفواجًا؛ وذلك أنهم قَبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تظهر عندهم أمور

النبي ﷺ كما هي، ولا يَخْلون بمن يُعلِمهم بها مفصَّلة، فلما حصل صلح الحُدَيبِيَة اختلطوا بالمسلمين، وجاءوا إلى المدينة، وذهب المسلمون إلى مكة، وحَلُّوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يَقبَلون نُصحَهم، وسمعوا منهم أحوالَ النبي ﷺ مفصَّلة بجزئيَّاتها، ومعجزاتِه الظاهرة، وأعلام نبوته، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعاينوا بأنفسهم كثيرًا من ذلك، فما زالت نفوسهم تميل إلى الإيمان حتى بادر خلقٌ منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة، فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلًا إلى الإسلام، فلمَّا كان يومُ الفتح أسلموا كلُّهم؛ لِما كان قد تمهَّد لهم من الميل. وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلامَ قريش، فلما أسلمت قريشٌ أسلمت العرب في البوادي؛ قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝ ﴾ [النصر].

* * *

(١٥٩) عَنْ مَرْوَانَ وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنهما يُخْبِرَانِ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ[1]: «لَـمَّا كَاتَبَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو يَوْمَئِذٍ كَانَ فِيمَا اشْتَرَطَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا وَخَلَّيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَكَرِهَ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ وَامْتَعَضُوا مِنْهُ، وَأَبَى سُهَيْلٌ إِلَّا ذَلِكَ، فَكَاتَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَرَدَّ يَوْمَئِذٍ أَبَا جَنْدَلٍ إِلَى أَبِيهِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا». [البخاري: ٢٧١٣].

---

(١) عدم تسمية الصحابة في السَّند لا يضرُّ؛ فإنهم رضي الله عنهم كلّهم عُدُول.

* «يومَئذ»: يومَ صلح الحديبية.

«وامتَعَضوا منه»: شَقَّ عليهم وعَظُم.

* * *

(١٦٠) عَنْ أَبِي سُفْيَانَ: «أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ. قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ»[1].

[البخاري: ٢٦٨١].

* * *

---

(١) تقدم في «أمانة النبي ﷺ»، حديث (١٢٢).

(٢٤) رفق النبي ﷺ ولين جانبه

(١٦١) عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ، قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟». [البخاري: ٢٧٦٨].

● «كيِّس»: عاقل فَطِن.

وفيه: جواز استخدام اليتيم الصغير الذي لا يجُوز أمرَه. وأن خدمة العالم والإمام واجبةٌ على المسلمين، وأن ذلك شرفٌ لمن خَدَمهم؛ لما يُرجَى من بركة ذلك. وتركُ العتاب على ما فات؛ لأن هناك مَندُوحةً عنه باستئناف الأمر به إذا احتيج إليه. وفائدةُ تنزيه اللسان عن الزِّجر والذَّم واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته. وكلُّ ذلك في الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان، وأما الأمور اللازمة شرعًا فلا يتسامَح فيها؛ لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* * *

(١٦٢) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ الْحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ تَسْمَعُ اللَّهْوَ». [البخاري: ٥١٩٠].

● «فاقدُروا قَدْر الجارية الحديثةِ السِّن تسمَع اللَّهو»: انظروا رغبتَها في ذلك إلى أن تنتهيَ؛ لأنها تحب اللهو والنظر إلى اللَّعِب حبًّا بليغًا، وتحرص على إدامته ما أمكَنها، ولا تَمَلُّ ذلك إلا بعد زمان طويل.

وفيه: جواز اللعب بالسلاح ونحوه من آلات الحرب، ويلتحق به ما في معناه من الأسباب المُعِينة على الجهاد وأنواع البر. وجوازُ نظر النساء إلى لَعِب الرجال من غير نظرٍ إلى نفس البدن، وأما نظر المرأة إلى وجه الرجل الأجنبيِّ فإن كان بشهوة فحرامٌ بالاتفاق.

* * *

(١٦٣) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي». [البخاري: ٦١٣٠].

● «ألعَب بالبَنات»: باللُّعَب والصُّوَر الشَّبيهة بالبنات التي تلعب بها الصَّبايا.

«يَتقمَّعن»: يتغيَّبن ويستَتِرن؛ حياءً منه وهَيبة.

«فيُسَرِّبُهن»: من «التسريب»، أي: يُرسِلُهن إليَّ ويُسَرِّحُهن.

* * *

(١٦٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟!»[1]. [البخاري: ٦١٢٩].

* * *

(١٦٥) عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ». وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ». [البخاري: ٦٠٧٢].

- «كل ضَعِيف مُتضاعِف»: المراد بالضعيف: ضعيفُ الحال لا ضعيفُ البدن، والمتضاعِف: المتواضِع.

«لو أقسَمَ على الله لأبَرَّه»: لو حَلَف يمينًا على الله لَيفعلَنَّ كذا؛ طمعًا في كرم الله بإبراره، لأبَرَّ الله قسَمَه وفَعَل مطلوبَه. وقيل: لو دَعاه لأجابه.

«عُتُل»: هو الشديد الخصومة، وقيل: الجافي عن الموعظة.

«جَوَّاظ»: هو الفظُّ الغليظُ، وقيل: الجَمُوع المَنُوع.

«لَتأخذ بيد رسول الله ﷺ»: المراد به: رفق النبي ﷺ بها وانقياده لها، أي: كان خُلق رسول الله ﷺ على هذه المرتبة، وهو أنه لو كان لأمةٍ حاجةٌ إلى بعض مواضع المدينة وتلتمس منه مساعدتها في تلك الحاجة واحتاجت بأن يمشي معها لقضائها، ما تخلَّف ﷺ عن ذلك حتى يقضيَ حاجتها.

* * *

---

(١) تقدم في «حسن أخلاق النبي ﷺ»، حديث (٢٣).

(١٦٦) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ! فَوَالله مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ». [مسلم: ٥٣٧].

* «فرماني القومُ بأبصارهم»: أسرعوا في الالتفات إليَّ ونفوذِ البصر فيَّ، استُعيرت من رَمْي السهم، والمعنى: أشاروا إليَّ بأعينهم من غير كلام، ونظروا إليَّ نظرَ زجرٍ؛ كي لا أتكلمَ في الصلاة.

«وا ثُكلَ أمِّيَاهْ!»: الثُّكْل: فِقدان المرأةِ ولدَها، وأمِّيَاه: أصله: أُمِّي، زِيدَ عليه الألف لمد الصوت وهاء السكت[1]، والمعنى: وا فقدَها لي! فإني هَلَكتُ.

«فجعلوا يَضرِبون بأيديهم على أفخاذِهم»: فعلوا هذا ليُسكتوه، وهذا محمول على أنه كان قبل أن يُشرَع التسبيح لمن نابه شيء في صلاته[2].

---

(١) ويسمى ذلك في اللغة بأسلوب النُّدْبة، والنُّدبة: هي نداء المتفجَّع عليه أو المتوجَّع منه، نحو: «وا محمداه!» «وا رأساه!».

(٢) السنة لمن نابه شيء في صلاته كإعلام من يستأذن عليه وتنبيه الإمام وغير ذلك، التسبيح إن كان رَجلًا فيقول: «سبحان الله»، وهذا لا خلاف فيه بين الفقهاء، والتصفيق إن كان امرأةً، وهذا قول الحنفيَّة والشافعيَّة والحنابلة، وكره المالكيَّة تصفيقَ المرأة في الصلاة وقالوا: إن التنبيه

«لكني سكتُّ»: فيه حذفُ جواب «لمَّا»، والتقدير: فلمَّا رأيتُهم يصمِّتونني أردت أن أخاصِمَهم- مثلًا- لكني سكتُّ.

«فبأبِي هو وأمِّي» أي: أفديه بأبي وأمي.

«ما كَهَرني»: ما عنَّفني أو عَبَس في وجهي أو أغلَظ عليَّ في القول.

وفيه: بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيمِ الخُلق الذي شهد الله تعالى له به، ورأفتِه بأمته وشفقته عليهم، ورفقه بالجاهل، وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فَهمِه.

***

(١٦٧) عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ: أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ الله ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ. قَالَ: فَلَمَّا أَنْ رَأَى رَسُولُ الله ﷺ مَا فِي وَجْهِي قَالَ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ». [مسلم: ١١٩٣].

❁ «حمارًا وحشيًّا»: يُحتمل أن يكون حيًّا، ويُحتمل أن يكون مذبوحًا[١]. وكان صَيدًا.

«بالأَبْواء أو بوَدَّان»: مكانانِ بين مكةَ والمدينة.

«ما في وجهِي»: من التغيُّر الناشئ من أثر التأذِّي من ردِّ النبي ﷺ عليه الصيدَ.

بالتسبيح يشمل النساء أيضًا. وصفة التصفيق: أن تضرب بطنَ كفِّها اليمنى على ظهر كفها اليسرى، ولا تضرب بطن كفٍّ على بطن كف على وجه اللهو واللَّعب، فإن فعلت هكذا على جهة اللَّعب بَطَلت صلاتها؛ لمنافاته الصلاة. والله أعلم.

(١) يباح أكلُ لحم الحُمُر الوحشية بخلاف الحُمُر الأهلية فمنهيٌّ عنه.

«إنا لم نردَّه عليك إلا أنا حُرُم»: قاله ﷺ اعتذارًا وتسليةً له؛ فصَيد البَر مُحرَّم على المُحرِم؛ لقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [المائدة: ٩٦].

وفيه: أنه يُستحَب لمن امتنع من قَبول هدية ونحوها لعذر أن يعتذرَ بذلك إلى المُهدِي؛ تطييبًا لقلبه.

***

(١٦٨) عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: «قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أُرَانِي قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: فَصِفْهُ لِي، قَالَ: قُلْتُ: رَأَيْتُهُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ عَلَى نَاقَةٍ وَقَدْ كَثُرَ النَّاسُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذَاكَ رَسُولُ الله ﷺ، إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُدَعُّونَ عَنْهُ وَلَا يُكْرَهُونَ». [مسلم: ١٢٦٥].

- «أُراني»: أظُنُّني.

«لا يُدَعُّون عنه»: لا يُدفَعون.

«ولا يُكرَهون»: لا يُستقبَلون بوجه متجهِّم عَبُوس.

***

(١٦٩) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ

فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ الله ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ». [مسلم: ١٧٨٨].

● «وقُرٌّ»: بَرْد.

«ولا تَذعَرهم عليَّ»: لا تُفزِعهم عليَّ ولا تحرِّكهم عليَّ.

«جعلتُ كأنما أمشي في حَمَّام»: يعني: أنه لم يجِدْ من البَرْدَ الذي يجِدُه الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئًا؛ بل عافاه الله من ذلك ببركة إجابتِه لطلب النبي ﷺ، وذَهابِه فيما وجَّهَه له، ودعائِه ﷺ له، واستمر ذلك اللطف به ومعافاتُه من البرد حتى عاد إلى النبي ﷺ، فلما رجَع ووصَل عاد إليه البردُ الذي يجده الناس، وهو قوله: «قُرِرتُ» أي: بَرَدتُ. وهذه من معجزات رسول الله ﷺ. ولفظة «الحَمَّام» مشتقَّة من «الحَمِيم»، وهو الماء الحارُّ.

«يَصلِي ظَهرَه بالنار»: يُدفِئه ويُدنِيه منها.

«كَبِد القَوس»: مَقبِضها. وكبدُ كلِّ شيء: وسَطُه.

«نَوْمان»: كثير النوم.

وفيه: أنه ينبغي للإمام وأمير الجيش بعثُ الجواسيس والطلائع لكشف خَبر العدو.

***

(١٧٠) عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: مَا سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أَحَدٌ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِي: «أَيْ بُنَيَّ، وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ المَاءِ وَجِبَالَ الخُبْزِ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ ذَلِكَ». [مسلم: ٢١٥٢].

● «أَيْ بُنيَّ»: فيه رفقٌ منه ﷺ وتلطُّف بالسائل، و«أيْ» لنداء القريب.

«وما يُنصِبك منه؟»: ما يُتعِبك من أمرِه؟

«هو أهوَن على الله من ذلك»: قيل: معناه: هو أهون على الله من أن يَجعَل ما خَلَقه الله تعالى على يده مُضِلًّا للمؤمنين ومشكِّكًا لقلوبهم؛ بل إنما جعله له ليزدادَ الذين آمنوا إيمانًا، ويُثبِت الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوِهم، وليس معناه: أنه ليس معه شيء من ذلك.

* * *

(١٧١) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَغُلَامٌ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ». [مسلم: ٢٣٢٣].

● «يَحدُو»: يَسُوق الإبلَ ويحثُّها على السَّير بالغناء.

«رُوَيدك سوقًا بالقوارير»: ارفُق في سَوْقك بالنِّساء. سمَّى النساءَ قواريرَ؛ لما فيهن من الرِّقة واللطافة وضعف البِنية؛ تشبيهًا بقارورة الزُّجاج لضعفها وسرعة انكسارها. أو لضعف عزائمهن وسرعةِ تأثرهن.

قيل: أمَره النبي ﷺ بالكفِّ عن ذلك؛ لأن الإبلَ إذا سمعت الحُداء أسرعت في

المشي واستلذَّته، فأزعجَت الراكب وأتعبَته، فنهاه ﷺ عن ذلك؛ لأن النساء يَضعُفن عند شدة الحركة، ويُخاف ضررُهن وسقوطُهن. وقيل: لأن أنجَشة كان حَسن الصَّوت، وكان يحدُو بهن ويُنشد شيئًا من الأشعار، فلم يأمَن أن يَفتِنَهن، ويقعَ في قلوبهن حُدَاؤه.

* * *

(١٧٢) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله فَيَنْتَقِمَ لله ﷻ»[١]. [مسلم: ٢٣٢٨].

* * *

(١٧٣) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟» فَقَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِإِنْسَانٍ: «انْظُرْ أَيْنَ هُوَ»، فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ فَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا التُّرَابِ، قُمْ أَبَا التُّرَابِ». [مسلم: ٢٤٠٩].

❁ «أينَ ابنُ عمِّكِ؟»: أراد به عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي الحقيقة هو ابن عمِّ النبي ﷺ، وإنما اختار ﷺ هذه العبارة ولم يقل: «أين زوجُك؟» أو «أين عليٌّ؟»؛ لأنه

(١) تقدم في «حسن أخلاق النبي ﷺ»، حديث (٢٥).

فَهِم أنه جرى بينهما شيء، فأراد استعطافَها عليه بذكرِه قرابةَ النَّسَب التي بينهما.

«فلم يَقِلْ»: من «القَيلُولة»، وهي نوم منتصَف النهار.

«أبا التُّراب»: كُنْية كَناه بها ﷺ؛ ممازحةً له وإيناسًا وملاطَفة.

وفيه: الرفق بالصِّهْر وتطييب أمرِه في غيابه.

* * *

(١٧٤) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَرَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ»، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ؟! قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»(1). [البخاري: ٣٢٩٤].

* * *

(١٧٥) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ! قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ

---

(1) تقدم في «بشاشة النبي ﷺ وضحكه»، حديث (٨٦).

كُلِّهِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ». [البخاري: ٦٠٢٤].

● «رَهْط»: جماعة من الرجال.

«السَّام»: الموت.

«وعليكم»: قيل: معناه: المشاركة في الموت، أي: نحن وأنتم كلُّنا نموت. أو تقديره: وأقول: عليكم ما تستحقونه. وإنما اختار ﷺ هذه الصيغة؛ ليكون أبعدَ عن الإيحاش وأقربَ إلى الرِّفق.

وفيه: حثٌّ على الرفق والصبر والحِلم وملاطفة الناس ما لم تَدعُ حاجة إلى المخاشَنة.

* * *

(١٧٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَبَالَ فِيهَا، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ»، فَلَمَّا فَرَغَ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِذَنُوبٍ فَصُبَّ عَلَى بَوْلِهِ. [مسلم: ٢٨٤].

● «بذَنُوب»: دلو كبيرة مملوءة ماءً.

وفيه: الرفق بالجاهل، وتعليمُه ما يَلزَمه من غير تعنيف ولا إيذاء، إذا لم يأتِ بالمخالَفة استخفافًا أو عنادًا.

* * *

(١٧٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ». [البخاري: ٣٣٧١].

● «يعوِّذ»: يحصِّن.

«أباكُما»: هو الخليل إبراهيم عليه السلام، وهو الجَدُّ الأعلى.

«بكلمات الله التامَّة»: إما باقيةٌ على عمومها فالمقصود: كل كلمة لله، وإما مخصوصة بنحو المعوِّذتين. وقيل: القرآن. والتامة صفة لازمة؛ إذ كل كلماته تعالى تامَّة، وقيل: المراد بالتامة: الكاملة، وقيل: النافعة، وقيل: الشافية، وقيل: المبارَكة، وقيل: القاضية التي تمضي وتستمر ولا يردُّها شيء ولا يدخلها نقص ولا عيب.

«وهامَّة»: كل ما له سمٌّ يقتل، وقيل: المراد: كل نَسَمة تَهُم بسُوء، وقيل: الهَوَامُّ: حشرات الأرض.

«لامَّة»: هي التي تصيب بسوء، أو بمعنى: جامِعة للشَّر.

وفيه: إشارة إلى أن الحَسَنين رضي الله عنهما مَنبَع ذريَّته ﷺ، كما أن إسماعيل وإسحاق مَعدِن ذرية إبراهيم عليه السلام.

***

(١٧٨) عَنِ الْبَرَاءَ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ». [البخاري: ٣٧٤٩].

● «عاتِقه»: هو ما بين المَنكِب والعُنق.

***

(٢٥) حرص النبي ﷺ على أمته

(١٧٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ». [مسلم: ٢٢٨٤].

❁ «بحُجَزِكم»: جمع «حُجْزة»، وهي موضع شدِّ الإزار من الوَسَط. وإنما خصَّ الحُجَز لأن أخذَ الوَسَط أقوى وأوثَق من الأخذ بأحد الطرفين في الإبعاد.

«تَقَحَّمون»: تدخلون بشدة ومزاحمة من غير رَوِيَّة، ويعبَّر به عن إلقاء النفس في الهلاك. وقيل: التقحُّم: الإقدام والوقوع في أمرٍ شاق.

ومقصود الحديث: أنه ﷺ شبَّه تساقطَ الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصَهم على الوقوع في ذلك مع منعِه إياهم وقبضِه على مواضع المنع منهم، بتساقط الفَراش في نار الدنيا لِـهَواه وضعفِ تمييزه، فكلاهما حريصٌ على إهلاك نفسه ساعٍ في ذلك لجهلِه.

* * *

(١٨٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ». [مسلم: ١٨٢٦].

❁ «أراكَ ضعيفًا»: غير قادرٍ على تحصيل مصالح الإمارة ودَرْء مفاسدها.

«ما أحِبُّ لنفسي»: من السلامة عن الوقوع في المحذور. وقيل: تقديره: لو كان حالي كحالك في الضعف، وإلا فقد كان ﷺ متوليًا على أمور المسلمين حاكمًا عليهم.

«فلا تَأمَّرَنَّ»: لا تتسلَّطن ولا تَصِيرَنَّ أميرًا.

قيل: حَرَص النبيُّ ﷺ على نُصح أبي ذرٍّ بذلك؛ لضعفه عن القيام بما يتعيَّن على الأمير من مراعاة مصالح رعيته الدينية والدنيوية؛ وذلك لأن الغالبَ عليه ﷺ كان الاحتقارَ للدنيا وأموالها اللذَين بمراعاتها تنتظم مصالح الدين ويتم الأمر، وقد كان أفرَطَ في الزهد في الدنيا حتى انتهى به الحال إلى أن يُفتيَ بتحريم الجمع للمال وإن أُخرِجت زكاتُه، وكان يرى أنه الكَنز الذي توعَّد الله تعالى عليه في القرآن[1]؛ فلذلك نهاه النبي ﷺ عن الإمارة وولاية مال الأيتام. وأما من قَوِي على الإمارة وعَدَل فيها، فإنه من السَّبعة الذِين يُظِلُّهم الله في ظِلِّه يوم القيامة.

* * *

(١٨١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ». قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله، أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ: تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة: ٣٤- ٣٥].

وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟!». [مسلم: ٢٤٧].

● «أذُود الناسَ»: أمنَع وأطرُد؛ صيانةً عن المشارَكة والمخالَطة.

«سِيمَا»: عَلَامة.

«غرًّا»: بِيض الوجوه.

«محجَّلِين»: بِيض الأطراف من اليدين والرِّجلين.

«وهل تدري ما أحدَثوا بعدك؟!»: هذا مما اختَلف العلماء في المراد به على أقوالٍ:

أحدها: أن المراد به المنافقون والمرتدُّون، فيجوز أن يُحشَروا بالغُرَّة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسِّيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وُعِدت بهم، إن هؤلاء بَدَّلوا بعدك، أي: لم يموتوا على ما ظَهَر من إسلامهم.

والثاني: أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتدَّ بعده، فيناديهم النبي ﷺ وإن لم يكن عليهم سِيما الوضوء؛ لما كان يَعرِفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: إنهم ارتدوا بعدك.

والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحابُ البدع الذين لم يَخرجوا ببدعتهم عن الإسلام. وعلى هذا القول لا يُقطَع لهؤلاء الذين يُذادون بالنار، بل يجوز أن يُذادوا عقوبةً لهم ثم يرحمهم الله تعالى فيُدخِلهم الجنة بغير عذاب. ولا يَمتنِع أن يكون لهم غرةٌ وتحجيل. ويُحتمل أن يكون كانوا في زمن النبي ﷺ وبعده، لكن عَرَفهم بالسِّيما.

***

(١٨٢) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ الله ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ الْآيَةَ [إبراهيم: ٣٦]، وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي!» وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ ﷻ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ- وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ[1]. [مسلم: ٢٠٢].

* * *

(١٨٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ الله، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ الله وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي! فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ

---

(١) تقدم في «بكاء النبي ﷺ ورأفته»، حديث (١٠٤).

يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي! فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْـمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي! فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ». [البخاري: ٧٥١٠].

◆ «ماجَ الناسُ»: اضطَربوا واختَلطوا؛ من هَيبة ذلك اليوم.

«أنا لها» أي: للشفاعة، يعني: أنا أتصدَّى لهذا الأمر.

«يا ربِّ، أمَّتي أمَّتي!»: قيل: الطالبون للشفاعة منه عامة الخلائق؛ وذلك أيضًا للإراحة من هول الموقف لا للإخراج من النار. وأجيب بأن المراد: فيؤذن لي في الشفاعة الموعودِ بها في إزالة الهول، ثم له ﷺ شفاعات أُخَر خاصة بأمته، ففيه اختصار.

«خَردَلة»: واحدة الخَردَل، وهو نباتٌ له حَبٌّ صغيرٌ أسودُ يُستعمَل في التوابل والطب، وحَبة الخردل من الأوزان الدقيقة، وتساوي جزءًا من ستة أجزاء من حَبة الشعير.

* * *

(١٨٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»[1]. [مسلم: ١٩٩].

* * *

(1) تقدم في «رحمة النبي ﷺ»، حديث (١٤٠).

(١٨٥) عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا». [مسلم: ٢٨٨٩].

• «زَوَى»: قَبَض وجَمَع.

«الأحمر والأبيض»: الذَّهب والفِضة، أو خزائن كِسرى وقَيصر.

«بسَنَة عامَّة»: قَحط يَعُم جميعَ بلاد المسلمين.

«فيَستبِيح بَيضَتهم»: البَيضة: العِز والمُلك، وبيضة الدار: وسَطها ومعظَمها، أي: مجتمَعهم وموضع سلطانِهم ومستقَر دعوتهم، والمراد: يَجعلهم له مباحًا لا تَبِعة عليه فيهم ويَسبِيهم ويَنهَبهم، أو عدوًّا يستأصِلهم ويُهلِكهم جميعَهم.

«أقطارها»: نواحي الأرض وأطرافها.

وهذا الحديث من المعجزات الظاهرة للنبي ﷺ.

* * *

(١٨٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ: إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ: إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ». [مسلم: ٢٩٣٦].

❁ «إنه أعوَر»: إنما اقتَصر ﷺ على العَوَر؛ لكونه أثرًا محسوسًا يُدرِكه العالِمُ والعامِّيُّ ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية، فإذا ادَّعى الربوبية وهو ناقص الخِلقة- والإله يتعالى عن النقص- عُلِم أنه كاذب.

«مِثل الجنة والنار» أي: صورتُها معه في نظر الناس مما يَقلِب الله تعالى حقيقتها في حق المؤمنين، أي: يَسير معه مِثلُها ويَصحَبه شكلُها.

«كما أنذَرَ به نوحٌ قومَه»: خَصَّ ﷺ نوحًا عليه السلام بالذِّكر؛ لأنه تَقدم المشاهيرَ من الأنبياء، كما خَصَّه الله تعالى بالتقديم في قوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣]، وهو مقدَّم على سائر أولي العزم[1] من الرسل بحسب الوجود. أو لأنه أول نبي أنذَر قومَه، ولأنه أول الرسل، وأبو البشر الثاني.

* * *

(١٨٧) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى الحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»، ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَّفَهَا. [مسلم: ٢٩٨٠].

❁ «الحِجر»: ديار ثَمُود، بوادي القُرى بين المدينة والشام. وكان مرورهم عليها في غزوة تَبُوك.

---

(١) أولو العزم: أصحاب الشرائع، اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها، وصبروا على تحمل مشاقِّها ومعاداة الطاعنين فيها. أو هم أولو الجِد والثبات والصبر. واختُلف في تَعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم: نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، وخاتَمُ الأنبياء محمدٌ، صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

«إلا أن تكونوا باكِين»: خَشِي ﷺ على أصحابه أن يجتازوا تلك الديار ساهِين غيرَ متَّعِظين بما أصاب أهلَ تلك الديار، وقد أمرهم الله تعالى بالانتباه والاعتبار في مثل تلك المواطن، فالداخل في دار قوم أُهلِكوا بخَسف أو عذاب إذا لم يكن باكيًا إما شفقةً عليهم وإما خوفًا من حلول مثلها به كان قاسيَ القلب قليلَ الخشوع، فلا يأمَن إذا كان هكذا أن يصيبَه ما أصابهم. فينبغي للمارِّ في مثل هذه المواضع المراقبةُ والخوف والبكاء، والاعتبارُ بهم وبمصارعِهم، وأن يستعيذَ بالله من ذلك.

وفيه: تنبيه لطيف على أن الأماكن لها تأثيرٌ من عند الله تعالى بالنسبة إلى سكانها محنةً ومنحةً، كما في الأزمنة من مواسم الطاعات وساعات الإجابة. ونظيرُ ذلك تأثيرُ صُحبة الأخيار والأشرار، على ما وردت به الأخبار والآثار.

* * *

(١٨٨) عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ؓ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ؛ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». [البخاري: ١٧٤١].

● «خَطَبَنا النبيُّ ﷺ يومَ النَّحر»: هي خُطبته ﷺ في حَجَّة الوَداع.

مما قيل في مدح النبيِّ ﷺ:

أوصافُ خيرِ الخَلقِ ليس لنِدِّها ... نِدٌّ وأنجُمُ نَعتِهِ لا تُحصَرُ

القَدُّ مُعتدِلٌ عليه جَلالةٌ ... والطَّرْفُ أدعَجُ والمُحَيَّا أَزهَرُ[1]

فاقَ النبيِّينَ الكِرامَ بخَلْقِهِ ... وبخُلْقِهِ لكِنَّهُ لا يفخَرُ

الفَضلُ في الأزَماتِ منهُ يُرتَجَى ... والعَدلُ والإحسانُ عنهُ يُؤثَرُ

ولهُ المقاماتُ المعظَّمُ أجرُهَا ... ولهُ الوَسيلةُ واللِّوَا والكَوثَرُ

أكرِمْ بهِ سَمْحًا جَوادًا لم يَزَلْ ... مِن راحتَيْهِ نَدَى المكارِمِ يَقطُرُ

مُتفَرِّدًا بجوامعِ الكَلِمِ التِي ... مِن طَيِّها عَرْفُ الهِدايةِ يُنشَرُ[2]

صلَّى عليهِ اللهُ ما هَبَّ الصَّبَا ... ومَحَا كتابَ اللَّيلِ صُبحٌ مُسفِرُ[3]

تم الكتاب بحمد الله

وذلك في يوم الثلاثاء الحادي عشر من ربيع الآخر عام ١٤٣٠ من الهجرة الشريفة

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد في العالمين

---

(١) الدَّعَج: سعة العين مع سوادها، أو شدة سوادها في شدة بياضها. المحيا: الوجه. أزهر: صافي اللون وضَّاء.

(٢) الطيُّ: ضِمنُ الشيء أو داخلُه. العَرْف: الرائحة الطيبة.

(٣) الصَّبا: ريحٌ مَهبُّها من مَشرِق الشمس. مسفر: مضيء.



أهم المراجع

١ - «صحيح البخاري»، للإمام محمد بن إسماعيل، أبي عبد الله البخاري.

٢ - «صحيح مسلم»، للإمام مسلم بن الحجاج، أبي الحسن النيسابوري.

٣- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر العسقلاني.

٤ - «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»، لبدر الدين العيني.

٥ - «شرح النووي على صحيح مسلم»، لمحيي الدين النووي.

٦ - «الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج»، لجلال الدين السيوطي.

٧- «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»، لأبي العلا المباركفوري.

٨- «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، لشمس الحق العظيم آبادي.

٩ - «حاشية السندي على سنن ابن ماجه»، لأبي الحسن السندي.

١٠ - «فيض القدير بشرح الجامع الصغير»، لعبد الرءوف المناوي.

١١ - «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»، للقاضي عياض.

١٢ - «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، للملا علي القاري.

١٣ - «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير الجزري.

١٤ - «تفسير البحر المحيط»، لأبي حيان الأندلسي.

١٥ - «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»، لمحمد بن يوسف الصالحي.

١٦ - «تاج العروس من جواهر القاموس»، لمرتضى الزبيدي.

١٧ - «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، لأحمد بن محمد الفيومي.

فهرس الموضوعات